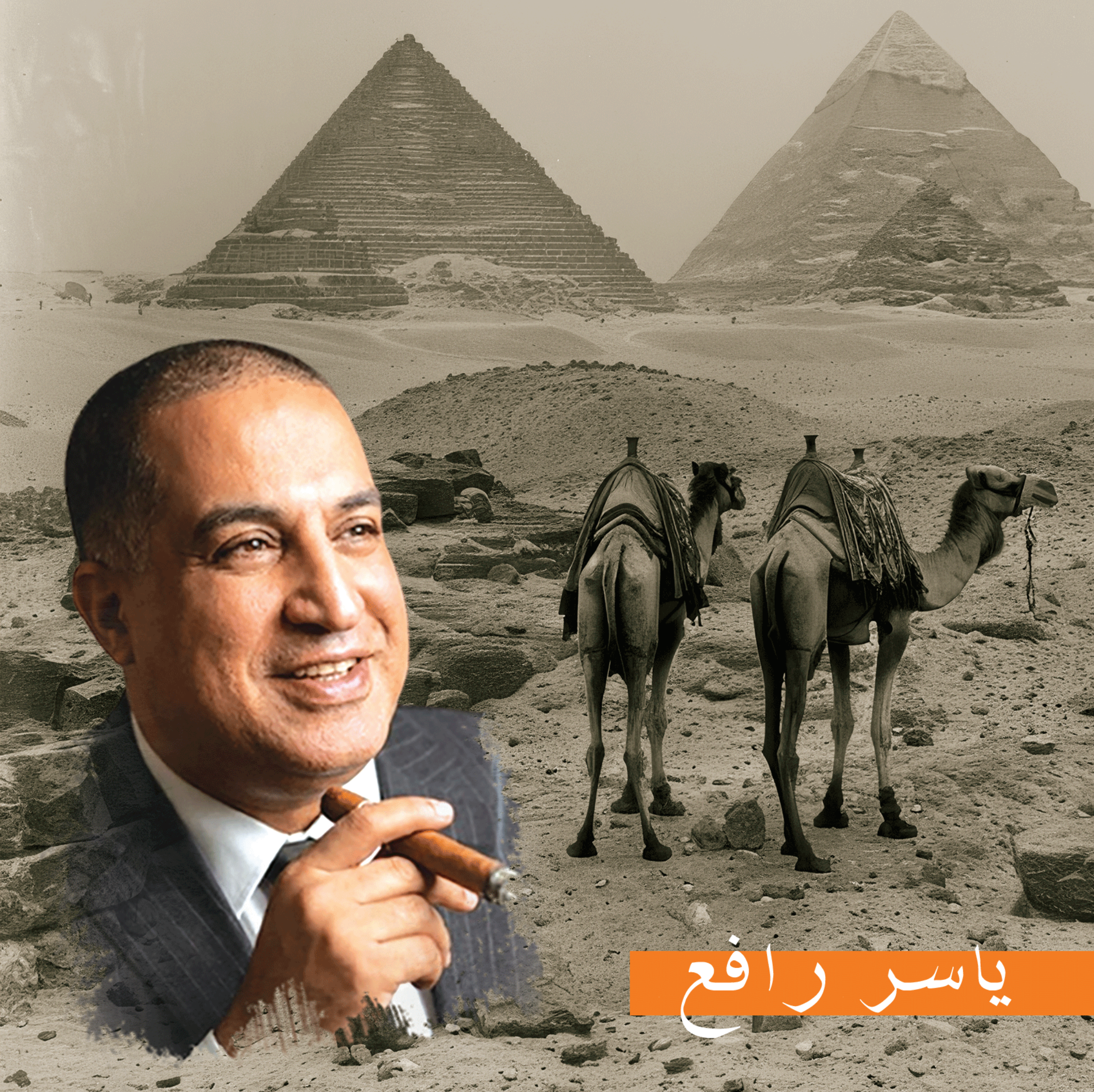
# المقالات المصرية



ياسر رافع

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: المقالات المصرية

تأليف: ياسر رافع

التنسيق والإخراج الفني: **لايت بوكس للإعلان**

تصميم الغلاف: **احمد محمد الريس**

الطبعة الأولى: 2026

# المقالات المصرية

للكاتب

ياسر رافع

١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٦م

# إهداء

إلى زوجتى الغالية

❊ ❊ ❊

# المقدمة

هناك على شاهد قبر الشاعر الأمريكى " تشارلز بوكوفيسكى " عباره منحوته تقول " لا تحاول " حار في تفسيرها كل من قرأها وخرجت تفسيرات كثيره لمعنى تلك العباره الغامضه التي أرادها الشاعر أن تنقش على قبره، وعلى الرغم من التفسيرات التي إقتربت وأبتعدت عن المعنى المقصود لتلك العباره إلا أن من يقرأ سيرة بوكوفيسكى نفسه سيعرف أن تلك العباره تلخص معنى حياته فهو المتشرد السكير الذي أراد النجاح ولكنه فشل وتدهورت حالته حتى أصبح صدى عبارة " لا تحاول " يتردد في نفسه عندما يقبل على أى محاوله جديده، حتى حانت اللحظه التي وجد فيها من يمد له يد العون وينشر له أول أعماله عندها كانت عبارة " لا تحاول " حافزا على الإبداع والتمرد وقد عبر عن ذلك في إحدى قصائدة:

لن أموت بسهوله

لقد جلست على آسرة الإنتحار

التى وضعتموها لى في أسوء الحفر في أمريكا

كنت مفلسا ومجنونا

أعنى مجنونا، أفهمتم!

دموع هائله، كل واحده بحجم قلوبكم الحقيرة

تنهمر منى على الأرض

صراصير تزحف على حذائى

مصباح قذر بقوة ٤٠ وات فوق رأسى

بغرفه رائحتها كالبول

بينما أنتم الأغنياء، المشهورون والمزيفون

تضحكون من بعيد

من الأماكن الفاسدة الآمنه

بعد أن أعطيتمونى سريرا للإنتحار وخيارين لا ثلاثه!

تموت جوعا، تجن، أو تقتل نفسك!

ولكن بوكوفيسكى إستطاع أن يجعل من " لا تحاول " خيارا رابعا بعيدا عن الموت جوعا أو الجنون أو الإنتحار، جعلها خيارا وحافزا للإبداع في مواجهة مجتمع لا يمد يد العون لمبدع لمجرد هيئته أو شكله

ومن هذا المنطلق ومن خلال عبارة " لا تحاول " أصدر هذا الكتاب وهو المحاوله الثانيه التي أحاول أن افلت بها من مجتمع لا يعرف غير صيحة " لا تحاول " فكل الآذان صماء والألسنه خرساء فلمن تكتب!!

الكتاب صرخه في مواجهة من يريدون أن يجعلوا من " لا تحاول " صنما

يعبد يقف حائلا بين الناس وشـــمس الحقيقه التي تغمر العالم ما عدا من يستظلون تحت أقدام الصنم

ياسر رافع

نوفمبر 2025

❉ ❉ ❉

# سيناء وطوفان الأقصى

سيناء البقعة الوحيدة من كل البقاع العربية الحاضرة دائما في الصراع العربي الإسرائيلي حيث تمثل بعدا تاريخيا ودينيا في طبيعة الصراع وكذلك هي الممر الأكثر عبورا وإستخداما من الناحية العسكرية. حيث كانت معبرا للجيوش في حرب فلسطين ١٩٤٨.. وموطن قتال في حروب ١٩٥٦ و١٩٦٧ و١٩٧٣ على التوالي. ولم تكن سيناء غائبة عن أي مسار تسوية في المنطقة بين الفلسطينيين والإسرائيليين، فبعد إستعادة سيناء بعد معاهدة السلام ١٩٧٩ بين مصر وإسرائيل يظهر إسم سيناء ويخبو كلما زادت سخونه الأوضاع الفلسطينية وتكون محل مساومه في غيبة أهلها.

ففي أكثر من مناسبة تم عرض سيناء كوطن للفلسطينيين في قطاع غزة في محاولة لحل وتصفية القضية الفلسطينية من الجانب الغربي والأمريكي.. ولكن تلك العروض دائما ما تقابل بالرفض من الجانبين المصري صاحب الأرض والفلسطيني صاحب القضية.

ففي أعقاب إنتهاء الإنتفاضة الفلسطينية التي إندلعت في العام ١٩٨٧ قدم عرض إسرائيلي للقاهرة بإدارة قطاع غزة ولكن القاهرة رفضت هذا العرض لأن هذا يعتبر تصفية للقضية الفلسطينية... وكانت هذه أولى خطوات التخلص من قطاع غزة ولكنها فشلت وخرجت القوات الإسرائيلية من القطاع.

وفي أثناء توقيع إتفاقية وادي عربه ١٩٩٤ تم تكرار الحديث عن التخلص من قطاع غزة على حســـاب ســيناء، حيث طلب الرئيس الأمريكي " بيل كلينتون" من مصر ان تعطي قطعة من أرض سيناء لتوسيع قطاع غزة أو إعادة توطينهم في ســيناء كحل نهائي للقضــية الفلســطينية وكالعادة قوبل الطلب بالرفض المصري والفلسطيني.

وتمر الســنوات حتى تأتي إدارة الرئيس الأمريكي " ترامب" وتكرر نفس العرض ولكن بصيغة إتفاقية شاملة إسمها" صفقة القرن" والتي أهم بنودها هو توطين فلسطيني أهل غزة في مساحه واسعه من سيناء. وكالعادة أيضا تم رفض فكرة تبادل الأراضي من الجانب المصري والفلسطيني

ومع إندلاع العمليات العسكرية المسماه " طوفان الأقصى" الذي قامت بها الفصائل الفلسطينية بقيادة " حماس" ضد إسرائيل. ومع النجاحات الباهرة لقوات المقاومة ومع إعلان إســرائيل حالة الحرب وبدعم أمريكي وغربي غير محدود، تظهر سيناء مرة أخرى لتكون محل سجال ونقاش وكأن هناك من يريد إســتكمال مخطط ومصــمم عليه. فمع تواصــل قصــف الطائرات الحربية الإسرائيلية لقطاع غزة كرد على عمليات طوفان الأقصى تم تداول أخبار عن قصــف إســرائيلي لمعبر رفح بين غزة وســيناء كتمهيد إســرائيلي لهروب الفلسطينيين في إتجاه سيناء كلاجئين ثم يتم توطينهم بالأمر الواقع. وظهرت تحليلات عن تواطئ مصري وهلما من الأخبار الغير صحيحة

الأخوة الفلسطينيين هم مرحب بهم وتم فتح كل المستشفيات في سيناء لإستقبال جرحي العدوان الإسرائيلي. ومرحب بهم حتى إنتهاء العدوان وعودتهم إلى بلادهم. غير ذلك هو أمر غير مقبول لأنه سيكون فرض لأمر واقع لعدوان عسكري يريد التوطين وتثبيته بالقوة بعدما فشل فيه دبلوماسيا. وان هذا يعتبر تصفية للقضية الفلسطينية وهو ما سيجر مصر لتداعيات أمنية لا قبل لها بها في تلك المرحلة الحرجة من تاريخها.

سيناء وطوفان الأقصى حلقة من ضمن حلقات متصله لن تكون الأخيرة التي يجري الحديث عنها ضمن مساومات حول حل القضية الفلسطينية

❊ ❊ ❊

# طوفان الأقصى والحلم الإمبراطورى الإيراني.. هل تدخل إيران الحرب؟

طوفان الأقصى.. أكبر وأقسى عملية عسكرية تقوم بها المقاومة الفلسطينية ضد الإحتلال الإسرائيلى منذ حرب أكتوبر ١٩٧٣، عملية عسكرية أشعرت الجميع بأن القضية الفلسطينية لم تمت، وأنها باقية مادامت المقاومة حية.. وأنها أماطت اللثام عن جيل جديد من المقاومين كنا نظن أن هذا الجيل لم يولد بعد ليكمل المسيره..

لكن لم تمر سويعات قليلة حتى ثارت الأسئلة حول تلك العملية الجسورة، هل هى عملية محدودة أم عملية كبرى جرى الإعداد لها داخل وخارج قطاع غزة؟ وهل هناك قوى خارج السياق العربى تدعم تلك العملية؟ أم أن كل ذلك تم وفق رؤية حماس لطبيعة الصراع مع الكيان الصهيونى؟ وهل تتدخل إيران بأجنحتها المسلحة في المنطقة العربية ممثله في حزب الله اللبنانى، والمليشيات الشيعية في العراق، والحوثيين في اليمن تنفيذا لمبدأ وحدة الساحات الذي قال به السيد حسن نصر الله أمين عام حزب الله؟

ولكن كل تلك الأسئلة تبخرت فجأة مع مرور أقل من يوم على بدء العمليات العسكرية عندما تحركت الأساطيل البحرية الأمريكية والأوروبية لدعم إسرائيل التي تلقت ضربة موجعه، وظهرعلى السطح سؤال واحد

فقط هل تتدخل إيران في تلك الحرب بعدما تحولت الميديا الغربية إلى مهاجمة إيران صراحة متهمة إياها بأنها وراء ما قامت به حماس، بل تمادت إلى نقل تصريحات أمريكية بأن ضربة وشيكة ستوجه إلى إيران حال تدخلت في الصراع لصالح حماس وهو ما أدى إلى تسارع إيران لنفى علاقتها بما يحدث في غزة وعدم علمها مسبقا بما حدث، وهو ما أعاد التأكيد عليه السيد حسن نصر الله والذى قال بأن ما حدث هو تخطيط وتنفيذ حركة حماس لم يعلم به مسبقا.

وهنا يثورالسؤال هل تظل إيران بعيدة عن الصراع وتترك حماس التي تدعمها وحدها في آتون الحرب؟

**

بعد أن دخلت الجيوش الإسلامية آراضى الدولة الساسانية الفارسية، كان هذا إيذانا بزوال الحكم الفارسى، وكذلك بالتبعية مفهوم الأمن القومى لها والمتمثل في مجالها الحيوى الممتد عسكريا وسياسيا لشواطئ البحر المتوسط وشرق أوروبا شرقا، وجنوبا حتى اليمن، وإعتبارما يقع في تلك المساحة الجغرافية هو بمثابة المجال الحيوى الإيرانى لا يجوز لأى من القوى الدولية أو المحلية التدخل فيه إلا بإذن وإلا كانت الحرب واقعة لا محالة.

ولكن إيران التي قبلت الإسلام كدين ولم تقبل اللغة العربية كلسان، وعلى

الرغم من إنتهاء إيران الساسانية كإمبراطورية لها أمن قومى تدافع عنه، إلا أنها لم تنسى أبدا أنها كيان متميز داخل الكتلة الإسلامية التي أصبحت جزءا منها، فكان التشيع المذهبى شيئا مميزا لها، ناهيك عن محاولات لها في السيطرة على هذة الكتلة فكانت الثورة العباسية المدعومة من الساسانيين القدامى الذين أعلنوا إسلامهم، والتى أسقطت حكم الأمويين العرب، وأقاموا الخلافة على العباسية مكانها، ولكن على الرغم من المحاولات التي تلت ذلك إلا أن إيران لم تظهر إلا ضمن كتلة ضخمه وتاهت كل المحاولات للعودة لكيان إيرانى خالص.

ومع ظهورالدولة الصفوية في إيران بداية القرن السادس عشر، حاولت إيران فرض نفوذها الإقليمى، ولكنها إصدمت بسيطرة دولة المماليك في مصر والتى تسيطرعلى شاطئ البحر المتوسط وحتى اليمن جنوبا، ومن بعدها الدولة العثمانية، وهو ما قضى على حلم آخر لإيران للعودة إلى ممارسة دور إمبراطورى في المنطقة يعيد لها مكانتها القديمة.

ومع بزوغ عصرالدولة الوطنية كانت دولة الشاهنشاة هى التي تسيطرعلى إيران وهى الأخرى روادتها أحلام العودة إلى الحلم الإمبراطورى ولكن قابلتها سيطرة غربية بريطانية وفرنسية على المجال الحيوى لها وهو ما جعل الحلم يتبخر مرة أخرى، حتى قامت الثورة الإسلامية ١٩٧٩ والتى جاءت بمظهرملهم وسط تنامى ظاهرة الأفكار الدينية حول العالم، وخاصة

التيارات الإسلامية في المنطقة العربية بشقيها السنى والشيعى، ولكن تبنى الثورة لمبدأ تصدير الثورة جعلها في مواجهة مباشرة مع أمريكا والغرب الذي فقد نفوذة في إيران بعد زوال حكم الشاة، وكذلك في مواجهة أنظمة الحكم في المنطقة العربية والتى لا تريد تنامى لنفوذ إيرانى حتى ولو طالت اللحى ولبست مسوح الإسلام، فكانت الحرب سريعة بين النظام الوليد في إيران ونظام الحكم في العراق، فكانت الحرب العراقية الإيرانية، والتى إمتدت لعشر سنوات تقريبا، وما أن إنتهت حتى ظن الجميع أن إيران المثخنه بالجراح لم تعد قادرة على ممارسة دورا إمبراطوريا، حتى جاءت الجوائز السياسية والإستراتيجية التي لم تتوقعها إيران لعودتها لإحياء الحلم الإمبراطورى، فقد دخل العراق الكويت غازيا فقام العالم بهزيمته وتحرير الكويت، وحصاره لأكثر من عشر سنوات إنتهت بإحتلال أمريكا وشركاءها العراق ٢٠٠٣، وهو ما أزاح من طريقها خصما مباشرا دون بذل مجهود.

ومع قيام ثورات الربيع العربى ٢٠١١ والتى جاءت في مصلحة إيران حيث سيطرت على العراق عبر مليشياتها والتى كتبت الفصل الأخير لسيطرة إيران على العراق وخاصة بعد القضاء على تنظيم داعش، وهو ما تزامن مع دخول الجيش السورى في حرب أهلية مع الثورة السورية، وهو ما وفر لإيران فرصة للتمدد نحو شواطئ البحر المتوسط وإيجاد موطئ قدم هناك بعد دخولها مباشرة لمساندة الجيش السورى بجانب حزب الله اللبنانى الشيعى، وهو ما تكرر في الثورة اليمنية التي تحولت إلى حرب أهلية هى الأخرى، فقامت

بمساعدة الحوثيين الشيعة الذين يخوضون حرب أهلية تحولت إلى حرب إقليمية.

وما أن قامت الحرب الروسية الأوكرانية، حتى وجدت إيران جائزة آخرى لم تكن تتوقعها، فطلب روسيا مساعدة إيرانية ضد أوكرانيا داعب الحلم الإيرانى الإمبراطورى القديم في شرق أوروبا، ووجدته فرصة لممارسة النفوذ وخلق تحالف يكون بمثابة درع يحميها ضد الهيمنة الأمريكية والغربية.

وبعد أن تحقق الحلم وتساقطت الدول العربية كقطع الدومينو وأصبح التواجد الإيرانى الخالص في أوروبا الشرقية وسواحل البحر المتوسط في سوريا ولبنان وغزة بدعم حركة حماس، وفى اليمن، هل هناك عائق أمام إيران لممارسة دورا إمبراطوريا يضمن لها هيمنة سياسية وعسكرية كما كانت قبل زوال الإمبراطورية الساسانية؟

**

بعد إندلاع العمليات العسكرية يوم ٧ أكتوبر وما بعدها في قطاع غزة، كانت التصريحات الإيرانية وأذرعها في العراق ولبنان وسوريا واليمن حاسمه في دعمها لحماس، بل وصلت التصريحات بالتهديد في دخول الحرب لضمان عدم هزيمة حماس والتى إعتبروها مكملة لوحدة الساحات التي تعتبر بمثابة ميثاق شرف بين تلك التنظيمات، وتحولت تلك التصريحات لواقع

فأنطلقت المناوشـــات العســكرية بين تلك التنظيمات والقوات الأمريكية والإســرائيلية، لكن بقيت إيران تحاول تهدئة الأجواء حتى لا تدخل في مواجهة واسعة في كامل الإقليم تدرك حتما أنها ستخسر تلك المواجهة مما سيفقدها في النهاية حلم إمبراطورى أصبحت ملامحة واضحة المعالم، وهو ما جعل وزير الخارجية الإيرانى " حســين أمير عبد اللهيان " يحذر من أن سـقوط غزة هو بداية لسـقوط القنابل الفسـفورية على طهران في إشـارة إلى إنتصار أمريكا وإسرائيل والذى لن يقف عند حدود غزة بل سيكون سقوط بقية أذرع إيران في لبنان واليمن والعراق هو تداعى لإحجار الدومنيو ستكون نهايته حربا على الأراضى الإيرانية ذاتها، وهو مالا تريده إيران

هـل هـذا هو مـا كبـل إيران في دعمهـا لحمـاس في حربهـا ضـــد الإحتلال الصهيونى؟ أم هو تكتيك مرحلى حتى تهدأ العمليات العسكرية لتبيان شكل وطبيعة المرحلة القادمة؟

**

كل المتابعين للحرب في غزة كانوا يتوقعون دخولا لإيران على خط الأزمة عســكريا عبر أذرعها في المنطقة، لكنها توقفت فجأة بســبب حجم القوة الهائلة للإمبراطورية الأمريكية والغربية والتى جاءت لتحافظ على نفوذها، وأن إسـرائيل ليســت أوكرانيا ولا هى الدول العربية، لهذا تراجعت للخلف لحين وجود مسـتجدات تجعلها مجبرة على دخول الحرب وذلك لســببين

آساسيين:

السبب الأول: أن عنصر المفاجأة لمباغتة أمريكا والقضاء على إسرائيل ـ إن وجد أصلا ـ قد فلتت لحظته الراهنه وعليه فإن إنتظارما سيحدث بعد إنتهاء العلميات العسكرية في غزة هو الطريق الأمثل لضمان عدم قطع أذرعها مع الإبقاء على إرسال الرسائل يوميا عبرعمليات عسكرية لأذرعها في العراق ولبنان واليمن لأمريكا بأنها قادرة على خوض الصراع إن فرض عبيها لضمان عدم ضياع الحلم الإمبراطورى.

السبب الثانى: أن التضحية بحركة حماس في مرحلة معينة من الصراع سيكون أمرا واردا من أجل الخروج بصفقة تضمن عدم الإعتداء عليها أو على أذرعها في المنطقة، لأن حركة حماس في كل الأحوال متعددة الولاءات الإقليمية وليس لها ولاء تام لإيران. أو أن تخرج بصفقة تضمن إنتهاء الحرب وضمان عدم القضاء على حماس نهائيا وجعل طهران هى الملاذ الأخير لقادة الحركة بعدما أصبح وجودهم في تركيا وقطر يشكل عبئا كبيرا بعد ما حدث في ٧ أكتوبر يضمن لها دورا في ترتيبات ما بعد حماس سياسيا إذا حدث وتم القضاء على الجناح العسكرى لحماس.

**

إيران ذات الحلم الإمبراطورى القديم المتجدد، لن يكون قرار دخولها أو عدم دخولها الحرب في غزة سهلا بل سيكون مرهونا بدروس التاريخ منذ

نهاية الإمبراطورية الساسانية، وما تمليه الجغرافيا السياسية والتغيرات الجيوسياسية العالمية. وأعتقد أن إيران لن تدخل الحرب لضمان عدم دخول تركيا ومصر في صراع مباشر معها يحول الحلم إلى صراع سنى شيعى تعلم مقدما بنتائجه الكارثية عليها. وحتى تنتهى الحرب على غزة فسنرى ما ستؤول له الأوضاع في المنطقة

❊ ❊ ❊

# مصر !!
# بين المقاومة ومحاولات العزل غرب قناة السويس؟!

إنتهت زيارة الرئيس الأمريكى " دونالد ترامب " لدول الخليج وهى الزيارة التي أثارت ردود أفعال كبيرة، ليس لحجم الأموال والصفقات التي عقدت بين دول الخليج وأمريكا، بل لعدة أسباب، لعل أبرزها هو غياب مصر عن المشهد والتى كانت حاضرة في قمة سابقة مشابهة، وهو الأمر الذي برهنه البعض علي تراجع دور مصر أمام الدور الخليجي في المنطقة، خصوصا وأن القمة تطرقت لقضايا تمس أمن المنطقة والتطبيع مع إسرائيل من خلال إتفاقيات إبراهام التي تتيح دمج إسرائيل في المنطقة.

وبعد بضعة أيام، أختتمت أعمال القمة العربية في العراق، وقد لفت إنتباه الجميع عدم الحضورعلى مستوي القادة من قبل دول الخليج كافة بإستثناء أمير قطرالذى غادر القمة لسبب برتوكولى. وفى كلمة مصر أمام القمة تحدث الرئيس المصرى " عبد الفتاح السيسي" قائلا " حتى لو نجحت إسرائيل في تطبيعها مع الدول العربية، فالسلام العادل لن يتحقق إلا بوجود دولة فلسطينية "، وهو ما عد تلميحا صريحا بأن مصر ترفض ما تم في غيابها عن قمة أمريكا والخليج، وأن التطبيع وقضايا الأمن القومى في المنطقة يجب أن لا تتجاوز الدور المصري.

لماذا غابت مصـر عن القمة الخليجية؟ ولماذا غاب الخليج عن قمة العرب في بغداد؟ وماذا يعنى حضـورالرئيس السـورى للخليج ولقاء ترامب؟ هل هذا مؤشر على عزل مصر عن المشرق العربى؟

**

يخطئ من يظن أن محاولات عزل مصـر التي تجرى حاليا وليدة التطورات الجيوسياسية الحالية، بل هى محاولات دؤوبه ومستمرة عبرالتاريخ القديم والحـديـث، ودائمـا تكون سـينـاء هى المنطقـة التي تمـارس فيهـا تلـك المحاولات، وزادت تلك المحاولات خصوصا بعد حفر قناة السويس.

ففى بداية الدولة الحديثة في مصر مع تولى " محمد على باشا "، الذي حلم بتكوين إمبراطورية مركزها القاهرة، فكان الإتجاة شـرقا، وحارب الدولة العثمانية بمساعدة غربية، ومع تمدده الكبير والذى هدد المصالح والمطامع الغربية، تحالفت روسيا وبريطانيا وفرنسا ضده، وهزموا جيشه بل حجموا دوره داخل الحدود المصـرية بعيدا عن المشـرق. وتلك كانت المحاولة الأولى للعزل في العصر الحديث.

المحاولة الثانية، جاءت على وقع نشـأة جامعة الدول العربية ١٩٤٥ في القاهرة، والتى أرخت لعودة الدور المصـرى للمشـرق مرة أخرى، وواكب هذا بداية هجرة اليهود لفلسـطين والذى تطور لاحقا إلى إعلان قيام دولة إسـرائيل ١٩٤٨، ومن خلال عودة الروح للدور المصـرى في المشـرق،

دخلت مصر حرب فلسطين مع الدول العربية ضد الكيان الصهيونى، وبرغم هزيمة الجيوش العربية إلا أن مصر فطنت إلى أن وجود القوات الإنجليزيه في قناة السويس، لم يكن وجودا لحماية الملاحة العالمية بل لعزل مصر عن المشرق عبر جعل مساحة سيناء كاملة بمثابة عازل طبيعى يمنعها من التمدد شرقا.

المحاولة الثالثة، كانت بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، والتى قام بعدها الرئيس " جمال عبد الناصر" بتأميم قناة السويس وهو الأمر الذي إستدعى تحالف بريطانيا وفرنسا وإسرائيل للقيام بهجوم عسكرى لإعادة إحتلال قناة السويس، يسبقه إحتلال إسرائيلى لسيناء من أجل عزل مصر التي أصبحت الخطر الأكبر على إسرائيل، ولكن تلك المحاولة فشلت وإنتصرت مصر وفرضت كامل سيادتها على أرضها.

المحاولة الرابعة، وتلك التي تزامنت مع صعود تيار القومية العربية بزعامة مصر،والذى أعطاها نفوذا كاسحا في المشرق الأمر الذي أقلق الإمبراطورية الأمريكية الجديدة والتى حاولت تحجيمه عبر إنشاء " حلف بغداد " ولكن هذا الحلف سرعان ما سقط، وكذلك أقلق السعودية الدولة العربية الناشئة، والتى تحالفت مع تركيا من أجل تحجيم النفوذ المصرى والقومية العربية وذلك عبر إنشاء منظمة رابطة العالم الإسلامى ١٩٦٢، ولم تفلح تلك المحاولة أيضا.

المحاولة الخامسة، وتلك التي بدأت بهزيمة مصر ١٩٦٧، والتى بنتائجها تراجعت مصر غرب قناة السويس وأصبحت مصر فعليا معزولة عن محيطها العربى ونفوذها في المشرق بعرض مساحة سيناء المحتله، وأستمر هذا الوضع حتى قيام حرب أكتوبر ١٩٧٣ وأنتصار مصر ودخولها سيناء. ولكن؟!

المحاولة السادسة، وهذه بدأت مع مباحثات فك الإشتباك عقب حرب أكتوبر، وصولا لعقد إتفاقية صلح مع إسرائيل في كامب ديفيد برعاية أمريكية، والتى أرجعت إسرائيل إلى الحدود الدولية وخروجها من سيناء، وعودة سيناء لمصر ولكن مع تراجع القوة المسلحة المصرية غرب خط قناة السويس، وسيادة شبه منقوصة على سيناء في شبه تكرار لما حدث مع " محمد على باشا ".

المحاولة السابعة، وهى التي نعيش فيها حاليا وتلك الممتدة من بداية حكم الرئيس الراحل " حسنى مبارك" وإلى الأن، والتى شهدت تراجعا مصريا واضحا في قضايا المشرق لصالح دول الخليج وعلى رأسها السعودية، وهو ما واكب إحتلال العراق ٢٠٠٣ وسقوط سوريا بعد الربيع العربى وتمدد إيرانى وتركي، وهو الأمر الذي أعلن من خلاله أن الكلمة العليا في المشرق أصبحت لإسرائيل وتركيا وإيران والسعودية ودول الخليج، وأن مصر أصبحت شبه معزوله عن المشرق، بالجغرافيا وبالسياسة ولم يتبقى لمصر

في قضـايا المشـرق إلا القضـية الفلسـطينية وذلك لسـببين، الأول هو أهمية القضـية الفلسـطينية للأمن القومى المصـرى والثاني مقاومة ضـد محاولات عزلهـا عن المشــرق. وأن وجود الرئيس الســورى " أحمـد الشــرع " في السـعودية جاء بإتفاق تركى قطرى سـعودى لتدشـين شـرعيته أمام الرئيس الأمريكى، بعدما بذلت السعودية وقطرأموالا ضـخمة ودعم مخابراتى قوي من أجل إسـقاط نظام " بشـار الأسـد " بمعاونه عسـكرية تركية، وهذا كان بمثابة محاولة أخرى ناجحة لعزل مصر

لماذا يحاول الغرب وأمريكا والسـعودية وإسـرائيل وتركيا عزل مصـر عن المشرق؟!

**

من بديهيات السياسـة والأمن القومى أن تحاول كل دولة أن تحافظ وتقاتل من أجـل أمنهـا القومى، لهـذا لا عتـاب على الـدور التركى والسـعودى الخليجي كلا منفردا وعلى حدا، لكن أن تتلاقى رؤى تلك الدول مع الرؤية الأمريكيـة والغربيـة فهنـا نســأل لمـاذا إتفق الكـل على عزل مصـر داخـل حدودها، بل غرب قناة السـويس تحديدا وبقاء سـيناء معزولة وحاجزا أمام أى تمدد أو محاولة للتدخل في شؤون المشرق العربى؟

الإجابة: هى عملية تسـليم وتسـلم لخروج مصـر من المشــرق وترتيبات المنطقة الأمنية والسـياسـية، في مقابل عملية دخول ممنهجه لإسـرائيل

وإحتلال مكانتها، وذلك عبر ضـمان ضـعف وإضـعاف مصـر إقتصـاديا وجعلها دولة منكفأه على نفسها، ضعيفة وفقيره

لهذ فإن الحديث عن تهجير الفلسطينين ساكنى قطاع غزة إلى سيناء، ليس تصفية للقضية الفلسطينية كما وصفته القيادة المصرية وتم ترويجه إعلاميا فقط!! بل هو تصفية للدور المصرى بالكامل في المشرق العربي، حيث لم يعد لدى مصر من أوراق تلعب بها في المشرق غير القضية الفلسطينية، ولهذا فليس بغريب أن يصرح رئيس وزراء قطر السابق " حمد بن جاسم أل ثان " في وقتا سابق قائلا " مصر أصبحت طبيب المريض الواحد ونحن سنأخذه منها " في إشارة واضحة إلى أنه لم يتبقى للقاهرة غير القضية الفلسطينية في قضايا المشرق العربي وأنه آن الأوان لخروج مصر من أخر معاقلها في المشرق العربي.

ماذا بعد؟!

**

مصـر بعد ظهور جحافل الجيوش وبوارج السلام الأمريكى بالقرب من حدودها وشواطئها في كامل المشرق العربى، لم يعد لديها إلا مقاومة هذا التحالف الخليجى الإقليمى الإسرائيلى برعاية أمريكية، وأظن أن الفرصة لا زالت سانحة وإن كان هامش المقاومة ضعيف بسبب الحالة الإقتصادية، وهامش هذه المقاومة هو الإستماته في عدم التفريط في سيناء وعدم جعلها

بمثابة مقبرة للقضية الفلسطينية ونهاية للدور المصري نهائيا في المشرق العربى. وأن أى محاولة لجر مصر في عمل عسكرى ضد إسرائيل في تلك المرحلة هو بمثابة خيار النهاية، لأخر معاقل الأمل في إحداث تغيير أمام الشعوب العربية حتى ولو إختلفت مع النظام السياسي المصرى.

**

هل ينجح مخطط عزل مصر، وحصر قوتها غرب قناة السويس وجعل سيناء خالية وأرضا عازلة بينها وبين المشرق العربى؟ وإحلال إسرائيل مكانها؟ كل هذا مرهون بقدرة مصر على المقاومة ومدى نجاح التحالف التركى الخليجى فيما فشل فيه سابقا أيام الرئيس " عبد الناصر".

الأحداث تتسارع بشده في المنطقة، ونتائجها مفتوحه على كل الإحتمالات، ولكن المؤكد أنها الفرصة الأخيرة أمام مصر حاليا ولسنوات قادمة لفرض كلمتها قبل فوات الأوان وأن المزيد من التنازلات تحت ضغط الحالة الإقتصادية فأن ذلك سيعد النهاية للدور المصرى لسنوات قادمة وأن تنمية سيناء ضمانه إضافية لصد محاولات العزل

*** 

# مصر والسلام الأمريكي.. حدود المغامرة والتمرد!!

لم تكن تصريحات الرئيس الأمريكى الجديد القديم " دونالد ترامب "، عن قوة أمريكا في إحلال السـلام في غزة، ولا قوة أمريكا العسـكرية في الحفاظ على السـلام العالمى في حفل تنصـيبه لولاية جديدة لحكم أمريكا، وليدة المصـادفة ولكنها تعبر عن جوهرالصـراع العالمي بين القوى العظمى عبر التاريخ للسيطرة على العالم.

ولكن أى سلام يعنى؟!!

سلام كما عرفه " مايكل إى ايدين مولر في العام ١٩٦٣ قائلا " السلام. فأي سـلام أعني وأي سـلام نسـعى إليه؟ ليس السـلام الأميركي الذي تفرضـه الولايات المتحدة على العالم بأسـلحة الحرب الأميركية. وليس سـلام القبرأو أمن العبيد. بل إنني أتحدث عن السـلام الحقيقي، ذلك النوع من السـلام الذي يجعل الحياة على الأرض تسـتحق أن تعاش، والنوع الذي يمكن الرجال والأمم من النمو والأمل وبناء حياة أفضـل لأطفالهم ـــ ليس السلام للأميركيين فحسب، بل السلام لكل الرجال والنساء، وليس السلام في عصرنا فحسب، بل السلام في كل العصور"

أم تصـريح "رويل مارك جيريشـت "، أحد زملاء مشـروع القرن الأمريكي الجديد، أثناء الحرب على العراق الذي قال " ليس أمامنا خيار سـوى إعادة بث الخوف الذي يحيط بأي قوة عظمى في نفوس أعدائنا وأصـدقائنا... إن

الحرب ضد صدام حسين وحدها هي التي ستعيد بشكل حاسم الشعور بالرهبة الذي يحمي المصالح الأمريكية في الخارج والمواطنين في الداخل"

فى هذة اللحظة التاريخية التي يعيشها العالم، هل تريد شعوب العالم سلاما يجعل الحياة تستحق أن تعاش، أم سلاما يبث الخوف في النفوس لصالح قوة عالمية تريد الحفاظ على مصالحها فقط؟!!

**

مثل الإنتصار الذي قام به الإمبراطور الرومانى " أوكتافيان " _أغسطس فيما بعد_ على تحالف ملكة مصر "كليوباترا" والقائد الرومانى " ماركوس أنطونيوس"، في معركة أكتيوم عام ٣١ قبل الميلاد، علامة فارقة في تأسيس مصطلح السلام العالمى والذى عرف قديما بالسلام الرومانى والذى إمتد لأكثر من ٢٠٠ عام بعد تلك المعركة الفاصله: حيث توسعت الإمبراطورية وأصبحت تحكم أكثر من ثلث سكان العالم، وتحكمت في التجارة العالمية وأصبحت الفيالق العسكرية الرومانية الجبارة عنوانا للقوة وردعا لكل من يحاول المساس بهيبة الدولة الرومانية، وترسيخا لمبدأ السلام الرومانى القائم على الهيمنه للحفاظ على مبدأ السيادة في العالم، وحفاظا على تجارتها وإقتصادها الذي يضمن ديمومة بقاءها.

والسلام الرومانى كفعل مارسته كل الدول الكبرى والإمبراطورية عبر التاريخ، وهو ما يفسر ما تفعله أمريكا حاليا، خصوصا بعدما دانت لها

السـيطرة على العالم بعد سـقوط منافسـها الأكبر وهو الإتحاد السـوفيتى ١٩٩٠ ومنذ تلك اللحظة وأمريكا تمارس فعل السلام الأمريكى القائم على الهيمنه، تارة بالشق الإقتصادى وتارة بالشق العسكرى.

هل نشـهد تراجعا للسـلام الأمريكى في منطقتنا العربية على الأقل يقلل من وطأة الهيمنه الأمريكية؟!!

**

لم يكن مشـهد تسـارع الفيالق الأمريكية العسـكرية من بوارج وحاملات طائرات وغواصـات نووية وأقمار صـناعية في الفضـاء نحو قطاع غزة بعد سـويعات قليلة يوم ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، بعد هجوم " حماس" على إسـرائيل، إلا تأكيد لمبدأ السـلام الأمريكى القائم على الهيمنه والذى لا يقبل أن تمس هيبته، وليس للدفاع عن إسـرائيل ومشـروعها الخاص بقدر الحفاظ على مصـالحه وعدم المسـاس بها، وأن حرب غزة أثبتت أن إسـرائيل بالنسـبة لأمريكا لا تعدوا قلعة متقدمة للفيالق العسـكرية الأمريكية في منطقة تمثل حجر الزاوية في الصـراع العالمى. وأن مشـهد فيالق السـلام الأمريكى العسكرية الضـخم لم يكن لإرهاب حماس الفلسـطينية وردعها فقط ولكن لإرهاب كل من تسول له نفسه مقارعة أمريكا في مناطق نفوذها، مثل الصين وروسـيا وإيران، ولعل خروج روسـيا من المنطقة وتراجع الدور الإيرانى لداخل حدوده والظهور الباهت للدور الصينى في الأزمة، هو نتاج لممارسة

فعلية لقوة السلام الأمريكى القائم على الهيمنه المدعوم بقوة عسكرية هائلة لم تتوفر لدولة عبر التاريخ حتى الأن.

منذ بداية حرب تحرير الكويت، وبعدها إحتلال العراق، ثم إندلاع ثورات الربيع العربى ٢٠١١، ثم سقوط ليبيا واليمن في حرب أهلية، وسقوط سوريا في يد المليشيات المسلحة وبعضها مدعوم أمريكيا وزوال نظام الأسد، وهزيمة حزب الله في لبنان، هل يمكن أن نقول أننا وصلنا إلى أعلى مراحل السلام الأمريكى في المنطقة وأكتملت الهيمنه!! أم أننا على أعتاب مرحلة أشد كتامه قادمة مع إدارة ترامب الجديدة؟!!

**

لقد أعادت حرب ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ في قطاع غزة إنتاج مشهد ما بعد معركة أكتيوم البحرية على الشواطئ المصرية والتى دشنت مرحلة السلام الرومانى قديما والقائم على الهيمنة وبداية حقبة مظلمة من التبعية، وهو ما سيفرض ضغوطا هائلة على البلدان العربية وخصوصا مصر، والتى ظاهريا خرجت من تداعيات الحروب الأهلية في الداخل العربى، ولكنها كانت الخاسر الأكبرعلى البعد الإستراتيجى والأمن القومى، بعدما أصبحت جهاتها الأربع على حدودها المباشرة ملتهبة ومناطق صراع تشتعل بها النيران. وعلى الرغم من أن مصر عمليا في تعاون وتحالف غربى منذ نهاية عصر الرئيس " السادات" وإلى الأن، إلا أن هذا لم يمنعها من محاولات للإفلات

والتمرد على السياسة الأمريكية في المنطقة، وهو ما جعلها تصنف تحت بند " الحليف المتمرد "، وذلك بسبب متطلبات الأمن القومى المصرى الخاصة ورفضا للتبعية ومحاولات مستمرة للإستقلال بعيدا عن سياسات الهيمنه في المنطقة،

لكن هل تصمد مصر أمام تداعيات حرب غزة وتعزيز نفوذ السلام الأمريكى وفيالقه العسكرية؟!!

**

لقد أثبتت حرب أوكرانيا أنه لا توجد قوة على الأرض تستطيع أن تفرض سلامها الخاص، بسبب قوة السلام الأمريكى وفيالقه العسكرية وهيمنته على الإقتصاد العالمى وسيطرته على الممرات البحرية العالمية، وعليه فإن أداء القوى العالمية في حرب غزة وتراجعها أمام أمريكا أكد بما لا يدع مجالا للشك أن محاولة مقارعة أى دولة في المنطقة لأمريكا هو محاولة إنتحار سياسى وعسكرى وإقتصادى لتلك الدولة.

وعليه فإن مصر التي مارست فعل المغامرة أيام الرئيس " عبد الناصر" للحيلولة دون وصول فيالق السلام الأمريكى للشواطئ العربية بعد الحرب العالمية الثانية، والذى إنتهى بكارثة فقدان الإستقلال الوطنى في حرب ١٩٦٧، وفعل التمرد بعدما أيقنت أن السلام الأمريكى واقع لا يمكن الفكاك منه منذ عصر الرئيس " السادات " إلى الأن والذى تحطم مع نهاية

إســتلهام معركة أكتيوم القديمه على شــواطئ غزة حديثا ولم يعد للتمرد ما يسنده ويغذيه بعدما سقط المحيط الإستراتيجي كله.

لذلك فإن مصــر في حالتها الراهنه لا تســتطيع المغامرة بســبب الظروف الإقتصــادية والإســتراتيجية والســياسـية داخليا وخارجيا وأن إسـتلهام روح الناصــرية نوع من الإنتحار في هذة اللحظة التاريخية، وأن محاولات التمرد التي مارستها بسبب قضايا بعينها مثل القضية الفلسطينية أصبحت في مهب الريح بسبب التدخل العسكرى المباشر في الأزمة خلافا للسابق.

إذا ماهى الســيناريوهات أمام مصــر للتعامل مع الســلام الأمريكي وفيالقة العسكرية؟!

**

أمريكا ســلامها في المنطقة قائم على أمن الممرات البحرية والمواصــلات، وأمن الطاقة، وأمن إســرائيل قلعتها العسـكرية المتقدمه في المنطقة، وكذلك مكافحة الإرهاب والجماعات المســلحة، وهذة الأســباب يمكن لمصــر التعاطى معها وهى ليسـت جديدة في التعاون مع أمريكا في كل تلك الملفات منذ عشــرات الســنين، ولكن هذا كان نابعا من وجهة نظر شــبه مسـتقلة عن سياق السلام الأمريكى تحافظ به على مساحة حركة تضمن أمنها، ولكن مع تدهور الأمور لغير صــالح مصــر وبروز التفوق الكاسـح للســلام الأمريكى فهنا يجب أن تتحسـب مصـر لأى مغامرة أو تمرد غير محسـوب وسـط تلك

الظروف التاريخية الصعبة، حتى لا تضطر للإنصياع الكامل لشروط السلام الأمريكي، وأن التحدث بلغة المصالح الضيقة لمصر فقط في هذة المرحلة خصوصا مع سقوط الدول العربيه الرئيسية وذهاب دول الخليج لتطبيع كامل مع إسرائيل تحت مظلة فيالق السلام الأمريكي العسكرية، سيضمن لها حضورا في ترتيبات البيت العربي في المرحلة القادمة، وأن أى محاولة عكس ذلك فإن عواقب المغامرة في ١٩٦٧، والتمرد في ٢٠١١( الربيع العربي )، ستكونان حاضرة وبقوة، تهددان السلام والإستقرار السياسى في البلاد مما ينبئ عن تحولات سياسية ضخمة ستكون مصر مطالبه بها، واقعة بين سندان فقدان الإستقلال الوطنى، أو مطرقة تغييرات سياسية تطال هيكل الدولة ذاتها.

**

إذا إستمر تسارع وتيرة الأحداث علي نفس المنوال نحو الهيمنه الكاملة للسلام الأمريكي في المنطقة، فيجب أن تسارع مصر لإحداث تغييرات سياسية وإقتصادية واسعة ومحسوبة في الداخل، للحيلولة دون إستدعاء التذمر الشعبى كبطن رخو للضغط به للحصول على إملاءات وشروط تطال الحاضر وتجعل من المستقبل مجهولا. ويجعل من عواقب المغامرة والتمرد السابقين مجرد نزهه لما هو قادم.

مصر موقفها صعب، لكن دروس التاريخ يجب التعلم منها!!

# مصر وسوريا !! لماذا تأخر العناق بينهما؟!!

إذا كانت منابع النيل هى شـريان الحياة لمصـر، فإن سـوريا هى بمثابة الرئة التي يتنفس منها الجسـد المصـرى، هذا هو مفهوم سـوريا في مفهوم الأمن القومى المصرى عبر التاريخ ـ إذا جاز لنا التعبيرـ وعليه فأى تغيير في طبيعة سوريا الجغرافية والسياسية سوف يحدث أثرا فوريا يستدعى التدخل سواء سلما أو حربا!!.

ولكن مع زوال نظام الأسـد أمام المليشـيات المسـلحة السـورية، ومع عدم عدائية القيادة المصـرية مع القيادة الجديدة لسـوريا، بل أكدت مصـر على لسان الرئيس المصرى " عبد الفتاح السيسى " على وحدة التراب السورى ورفضـها لتقسـيمه بل دعى أيضـا الشـعب السـورى للعمل سـريعا على بناء سوريا والإبتعاد عن الهدم.

وعلى الرغم من توافد الوفود العربية والإقليمية والدولية على سـوريا لمحاولة فهم حقيقة ما يجرى في سوريا إلا أن غيابا واضحا للقيادة المصرية على كافة مسـتوياتها الدبلوماسـية والأمنية بات ملحوظا لكل المتابعين للمشـهد السـورى، اللهم من حدوث إتصـال تليفونى بين وزير الخارجية المصـرى ونظيره السـورى الجديد مع السـاعات الأولى من بداية العام الجديد ٢٠٢٥، وهو إتصـال يبدوا أنه قد تم بعد محاولات تقريب لوجهات النظر، وربما لإزالة حسـاسـيات وتخوفات لدى القيادة المصـرية من قبل

أطراف عربية أو دولية.

لكن يبقى السـؤال، لماذا تأخرت القاهرة للذهاب إلى دمشـق! هل هناك ما يمنع؟!

**

لقد تميزت العلاقة بين القيادة المصرية ونظام الأسد منذ نشأته بل حتى من قبل أن يقوم حافظ الأسـد بإنقلابه بشـهور، حيث حذر الرئيس " جمال عبد الناصـر" قبل وفاته القيادة السـورية آنذاك من محاولة إنقلاب للأسـد، وبعد حدوث إستيلاء " حافظ الأسد " إتسمت العلاقة بين حافظ الأسد والرئيس السـادات بالدفئ والتعاون نظرا لظروف الحرب مع إسـرائيل فيما بين عامى ١٩٦٧ وعام ١٩٧٣، ولكن توترت العلاقة بسـبب مباحثات فض الإشـتباك بين مصـر وإسـرائيل، وصـولا للقطيعة بينهما بعد عقد إتفاقية كامب ديفيد، وهو ما جعل سـوريا تلجأ للإتحاد السـوفيتى لإنشـاء قاعدة عسـكرية له على أراضـيها من أجل حمايتها وهو ما زاد من التوتر بينهما. وأسـتمرت القطيعة بين النظامين إلى أنه مع منتصـف ثمانينيات القرن العشـرين قد تم الصـلح بين نظام " حافظ الأسد" ونظام " حسنى مبارك " وبدأت الأوضاع تتحسن، حتى أن مصـر قد بعثت ببارجتين حربيتين للسـواحل السـورية لإعلان تضـامنها ووقوفها بجانب سـوريا خلال أزمة تهديد تركيا بإعلان الحرب عليها إذا لم تسـلم المعارض الكردى " عبد الله أوجلان " وهى الأزمة التي

إســتمع فيها الأســد لنصــيحة مبارك وكان الحل الوســط هو طرد أوجلان خارج سوريا، وقد كان!!

ومع تولى " بشار الأسد " الرئاسة مكان والده إلا أن نظام مبارك ظل يتعامل معه على نفس السياسة نظرا لإستمرار الإبن على نهج أبيه وسياساته التي لا تستجيب للمتغيرات العالمية والإقليمية.

ومع إندلاع ثورات الربيع ٢٠١١ في مصــر، فقد بات بديهيا أن تنتقل عدوى الثورة إلى ســوريا وهو ما قد حدث، لكن عكس ما حدث في مصــر، فقد تحولت الثورة السورية إلى حرب أهلية سالت فيها الدماء غزيرة بين أطياف المكون الشعبى السورى. ولكن مصر خلال فترة المجلس العسكرى التي تلت نهاية حكم الرئيس الســابق "مبارك"، قد رفضــت علي لســان رئيس المجلس ووزير الدفاع " حسين طنطاوى" محاولات عربية ودولية لإرسال قوات لســوريا لحقن الدماء فيها وذلك خوفا من حرب أهلية ولعدم التدخل في الشأن السورى، ولكن خلال حكم الرئيس السابق "محمد مرسى" أعلن وقوفه مع الثورة الســورية وأعلن قطع العلاقات بين مصــر ونظام " بشــار الأسد "، ولكن سرعان ما قامت ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ في مصر معلنة نهاية نظام الرئيس"مرسى" وأستمرت العلاقات كما هى، ولكنها تدهورت لحد القطيعة الدبلوماسية مع نظام الرئيس " عبد الفتاح السيسى " بسبب وحشية النظام الســورى خلال الحرب الأهلية ووقوف المجتمع الدولى والعربى

ضـد تلك الوحشـية، ولكنها رجعت مرة اخرى قبل سـقوط النظام السـورى بأشهر قليلة.

لماذا إذا والعلاقات بين مصـر ونظام الأسـد هكذا،لم تبادر مصـر لمد يد العون للنظام الجديد؟!

**

فى العام ٢٠٢١ إتهمت تركيا مصـر بمسـاعدة منظمة**PKK** أو حزب العمال الكردسـتانى، وذلك وسـط حملات تركية محمومة ضـد مصـر أثناء الأزمة السـياسـية بين البلدين قبل المصـالحة بينها، وإحتدام الحرب الأهلية السورية، وهو التصريح الذي لم تؤكده مصر أو تنفيه، لكنه كان رسالة لكل متابع للشأن المصرى أن تدخل إقليمى ودولى في سوريا بالنسبة لمصر هو أمر إستدعاء ضرورى للحفاظ على مقتضيات الأمن القومى المصرى بغض النظرعمن يتولى الحكم في سـوريا، خصـوصـا وأن نظام " بشـار الأسـد " إستدعى أطرافا إقليمية ودولية سواء متحالفا معها كإيران وحزب الله اللبنانى وروسيا، أو معاديا لها مثل تركيا وأمريكا والغرب.

وهكذا أصـبح نظام " بشـار الأسـد " يمثل عبئاً ثقيلا على النظام الأمنى العربى ونظام الأمن القومى المصـرى في القلب منه. خصـوصـا مع وجود مقاتلين أجانب في سوريا لتنظيم القاعدة وتنظيم داعش، وكذلك تحول كثير من الشـباب السـورى إلى مرتزقة لدى شـركات أمن دولية مثل " فاجنر"

الروسية، وشركة " سادات" التركية يقاتلون في كامل الإقليم، وهو ما إكتوت بناره مصر في سيناء وحدودها الغربية.

ومع سقوط نظام " بشار الأسد" الدراماتيكي السريع والمفاجئ على يد المليشيات المسلحة وإستيلائها على الحكم، هنا شعرت القاهرة أن تخوفاتها الأمنية في محيط أمنها القومى قد أصبحت كابوسا،

ما هى تخوفات مصر الأمنية والتى تمنعها من التعامل مع النظام السورى الجديد حتى الأن؟!!

**

بعد تولى الرئيس المصرى " عبد الفتاح السيسى" حكم مصر بعد خلع نظام حكم الرئيس السابق " محمد مرسى "، واجهت مصر تحديات أمنية كبيرة وصولا لحرب على الإرهاب في سيناء والحدود الغربية لمصر، وكانت سوريا حاضرة في المشهد المصرى بقوة حتى بعد سقوط نظام " بشار الأسد "لعدة أسباب منها:

١- وجود مقاتلين أجانب وسوريين قاتلوا ضد الدولة المصرية في سيناء منتمين إلى تنظيمى القاعدة وداعش، بعدما فقدت الدولة السورية التحكم في حركة المقاتلين الداخلين والخارجين منها عبر حدودها.

٢- وجود مرتزقة سوريين لدى شركة " سادات " الأمنية التركية قاتلوا في

ليبيا ضد المصالح المصرية أثناء القطيعة السياسية بين مصر وتركيا

٣- سمحت الحرب الأهلية السورية لتمدد تركيا أمنيا وجيوسياسيا داخل سوريا بما يضر بالأمن القومى المصرى خصوصا بعد سقوط نظام " بشار الأسد " في تكرار لما حدث في ليبيا أثناء وبعد الحرب الأهلية فيها، والذى أوجد دوله محافظة على جغرافيتها ولكنها مقسمه فعليا بين شرق وغرب، وهو ما ينبأ بتكراره في سوريا

٤- مصر التي عارضت وجود قواعد روسية منذ البداية في سوريا لتأثير ذلك على أمنها القومى، هاهى روسيا تنهى وجودها العسكرى في سوريا مع إنهيار النظام ولجوء " بشار الأسد " إليها، ولكنها تنقل قواتها وقوات سوريه سواء نظاميين من الجيش السورى المنحل أو من مرتزقة سوريين تابعين لها، مع معدات ثقيلة ودفاع جوى وطائرات إلى قاعدة في وسط ليبيا في مناطق نفوذ " خليفة حفتر" في إعلان غير صريح عن إنشاء قاعدة عسكرية روسية بديله لما فقدته في سوريا على الأراضى الليبية، وهو ما إستدعى ذهاب رئيس المخابرات المصرية " حسن رشاد " إلى ليبيا لبحث هذا الأمر وتداعياته على الأمن القومي المصرى

٥- المليشيات التي إستولت على الحكم في سوريا هى خليط غير متجانس، ولكن ما يهم مصر هم المنتمين إلى تنظيمى القاعدة وداعش وكذلك المقاتلين المصريين الموجودين هناك والذين تولى بعضهم مناصب أمنية

في الجيش السورى الجديد، وهذا يعتبر هاجس أمنى خطير لدى مصر.

٥- تخوف القاهرة من الإنكسار الحاد في سياسة تحالفات النظام السورى الجديد كما النظام القديم، إيران وروسيا في السابق وتركيا وقطر وأمريكا حاليا، وهو ما يربك حسابات القاهرة الأمنية

هل هناك سبيل لإزلة تلك التخوفات الأمنية والسياسية بين مصر وسوريا؟!!

**

مصر وسوريا دولتان لا يستطيعان الإستغناء عن بعضهما البعض، حتى مع إختلاف شكل النظام السياسى فيهما، ولكن تبقى التخوفات السياسية والأمنية هى الهاجس الذي يعكر صفو العلاقات بينهما، وعليه فإن القيادة الجديدة في سوريا والتى رحبت بها جموع الشعب السورى رغم التحديات الأمنية الكبيرة التي تواجها عليها أن تزيل أى لبس أو توجس لدى مصر من أى تهديد قد يخرج من سوريا يهدد المصالح المصرية، الجيوسياسية والأمنية سواء على حدودها أو في دول الجوار.

وأن الحديث التليفونى الذي دار بين وزير خارجية مصر وخارجية سوريا "الجديدة" والذى تطرق لعدم التدخل في الشؤون الداخليه لكلتا البلدين هو أساس مهم تبنى عليه علاقات جديدة مستقرة ومزدهرة بين البلدين، تكون نتيجتة عناق من المحبة بين النظامين السياسيين يدشنان بعده علاقات مستقرة ومستدامه تحفظ أمنيهما كما كان عبر التاريخ القديم والحديث.

هل يحدث هذا العناق قريبا؟! أعتقد أن دولا عربية وإقليمية تمهدان الطريق لذلك

❊ ❊ ❊

# هل تقسم سوريا؟!

سؤال أظن أن الإجابة عليه في ظل الأوضاع السياسية والعسكرية السائلة على الساحة السورية عقب دخول المليشيات المسلحة لدمشق معلنة سقوط نظام الرئيس السوري " بشار الأسد"، وكذلك سيولة الأحداث السياسية والعسكرية في منطقة الشرق الأوسط كتداعيات مباشرة للحرب الروسية الأوكرانية صعب!!. وعليه فإن الجزم بتقسيم سوريا إلى دويلات أو مناطق كونفدرالية أو فيدرالية هو نوع من القفز للأمام في الهواء تجاوزا للحقائق على الأرض السورية والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالحقائق الجيوسياسية لما حولها في الشرق الأوسط. وأن حالة العدائية التي قوبل بها ما حدث في سوريا من قبل كثرة من القوميين والليبراليين واليساريين العرب ليس لها ما يبررها مقابل فرحة السوريين بكامل طوائفهم بزوال نظام الأسد سوي أن ذاك النظام هو آخر معاقل الفكر القومي العربي.

وبعيدا عن التخمينات والتهويمات دعونا نستعرض الحقائق على الأرض السورية والشرق الأوسط من خلال خريطة الصراع الداخلي وحجم التدخل الخارجي من خلال تحليل متطلبات الدول المنخرطه في الصراع السوري الداخلي.

أولا: بعد إنتهاء عملية سقوط دمشق من قبل الميليشيات وصمت السلاح وبداية الإنخراط سريعا في عملية الإنتقال السلمي للحكم وبناء المؤسسات.

فقد بات واضحا أننا أمام قوتين عظميين يسيطران على المشهد السوري وهما مليشيات التجمع السني بكل أطيافه المعتدله والمتطرفة والمليشيات الكردية. وهذان التجمعان لن يغامرا بالإنقلاب على بعضهما البعض إلا في حالة تعثر عملية الإنتقال السلمي للسلطة، وهنا يمكن الحديث عن بداية إحتراب داخلي ليس بالضرورة سيؤدي إلى تقسيم بقدر انه سيكون مرهون بشبكة تحالفات دولية من خارج سوريا.

ثانيا: تركيا.. وهي الدولة التي ينظر لها على أنها صاحبة الدور الأساسي في إسقاط نظام " بشار الأسد"، والتى ينظر لها أيضا من البعض على أنها تريد إقتطاع جزء من سوريا كما حدث قديما في لواء الأسكندرونه، ولكن هذة المرة تركيا تخشي من تقسيم سوريا لسببين

..1 خشية ان تقوم دولة كردية مستقلة على حدودها الجنوبية بإتصال ديموجرافي داخل الأراضي العراقية التركية ويكون ذلك مقدمة لصراع داخلي تركي كردي.. وتركي عراقي

..2 قيام دولة كردية سيكون فرصة لإيران تقوض بها مكتسبات تركيا في سوريا

ثالثا: إيران.. والتي تلقت ضربة قاصمة بخروجها المهين من سوريا وقبلها الضربات القاصمة لأذرعها العسكرية على الأرض العربية، والتى قوضت حلمها الإمبراطورى بالتواجد على شاطئ البحر المتوسط تريد سوريا

موحدة لسببين:

_1 قيام دولة كردية سيغري أكراد العراق بالإنفصال وهؤلاء لديهم إمتداد داخل إيران مما يجعل من نيران تقسيم سوريا تطال الداخل الإيراني

_2 تقسيم سوريا عبر صراع مسلح قد يدفع الفصائل السنية كداعش وتنظيم القاعدة إلى التوسع خارج سوريا في العراق كما حدث إبان حرب داعش في العراق ولكن هذة المرة سيكون الدافع سنى شيعى مدفوعا بكراهية قاتمة بسبب ما فعلته إيران في سوريا

رابعا: إسرائيل.. وهدفها يبدوا واضحا وجليا على الرغم من إجتيازها لخط الهدنة وإحتلالها لبعض الكيلومترات الجديدة، فهي لا تريد تقسيم سوريا وفق الحدود الدولية ولكن وفق الداخل السوري فهي تريد شكل فيدرالي أو كونفدرالي داخل الحدود الدولية المعترف بها حتى لا تسمح بوجود بتدخل دولي إقليمي أو دولي يضر بمصالحها كما حدث من إيران مع نظام " بشار الأسد".. كل هذا مع نزع سلاح المليشيات وإنخراطها في عملية سلام كامل معها

خامسا: الدول العربية وعلى رأسها مصر.. الذين فطنوا في النهاية أن نظام " بشار الأسد" أصبح عبئا عليهم وأن مواقفه الرافضه لكل مقترح عربي لحل الأزمة الداخلية وكذلك إرتباطه بالنظام الإيراني على حساب الأمن العربي. هنا كان الصمت العربي عن إدانة الموقف التركي من خارج السياق العربي

فيما حدث في ســوريا بمثابة موافقة ضــمنية على إزاحة النظام الســوري والتخلص من الوجود الإيراني، وفق مواقف علنية على التمسك بعدم تقسيم ســوريا لما له من تداعيات خطيرة على كامل الإقليم، في موقف مشــابه لما حدث إبان حرب تحرير الكويت والتي كانت أمريكا تريد بعدها تقســيم العراق وهو ما قوبل برفض عربي آنذاك لما له من تداعيات وهو ما ثبت أخيرا بعد إحتلال أمريكا للعراق وما بعدها.

سادسا: أمريكا.. ليست راغبة في تقسيم سوريا لعدة أسباب

_1 أمريكا لا تريد عودة التنظيمات الإرهابية ولها تجربة ســابقة والتحالف الدولي ضد داعش

_2 لا تريد أن تغضــب حليفتها تركيا بالســماح بقيام دولة كردية تكون بداية لصراع طويل الأمد داخل تركيا يكون عودة للنفوذ الروسي والإيراني داخل سوريا مرة أخرى بجوار إسرائيل ومزعزع للإستقرار لحلفاءها العرب

_3 أمريكا لا تريد تقســيم ســوريا وإنما تريدها مقســمة داخليا عبر صــيغة فيدرالية تكون فيها اليد العليا لســلطة متعاونه ومنخرطة في عمليات الســلام في المنطقة

_4 سوريا سنية موحدة ضمانه لبداية إنحسار بل قطع أذرع إيران العسكرية في المنطقة وهو ما يتلاقى مع مصالح الدول العربية وتركيا في المنطقة.

بعد هذا أعتقد أن سيناريوهات التخوفات من تقسيم سوريا من داخل سوريا يقابلها حقائق سياسية وجيوسياسية من خارجها أيضا. لهذا أعتقد أيضا ان سيناريوهات التقسيم مستبعده في المدى المنظور بسبب عدم إستعداد دول الإقليم وأمريكا والغرب لخوض حروب مصالح على التراب السوري خصوصا وأن حرب أوكرانيا بتداعياتها على المنطقة خارج دائرة الحل

في النهاية يبدوا أننا إستبعدنا روسيا من المشهد الروسي، لأنه ليس راغبا في القتال من أجل العرب لأنهم ينظرون إليه على أنه " حليف تحت الطلب" يستدعي فقط وقت الأزمات وكذلك لجروحه العميقة جراء الحرب في أوكرانيا

**

كل ما سبق مجرد قراءة لمشهد من خارج السياق، لأن الأوضاع لا زالت سائلة في الداخل السوري وكذلك في دول الإقليم ورغبة محمومة لم تتضح معالمها بعد للإدارة الأمريكية القادمة بقيادة " ترامب" لإطفاء الحرائق حول إسرائيل وتقويض الدور الإيراني في المنطقة أو ترويضه

* * *

# كيف وصلنا إلى هذة المرحلة !!
# هل ما زال للزمار دورا؟!!

كل ما حولنا يتساقط كأحجار الدومينو، الأفكار والمعتقدات، كل شئ بلا إستثناء أصبح عرضه للكسر والتحطيم، حتى أصبحنا لا نثق في شئ، وتساقطت الأحلام على الأرض متحطمه كقطع الزجاج الحادة الحواف، تجرح كل من يتجرأ على تبيان وتفسير ما حدث.

لماذا وصلنا إلى تلك المرحلة من الهوان والإنكسار الحضارى في أسرع مدة زمنية عدت ببضع عشرات من السنين فقط، وهو أسرع إنحدار وصلنا له في فترة زمنية مماثله سابقه لها في التاريخ؟

ما هو السبب؟!!

**

فى مقال للكاتب الراحل " محمد حسنين هيكل " في مجلة " وجهة نظر "، طرح تصورا لما يمكن أن تكون إجابه لما وصلنا له من إنحدار، وقد حصره في مصطلح أسماه " القشط والإزاحه "، وهو مصطلح في ظنى قد أجاب عن إشكالية كبيرة تمثل عقدة مصرية اصيله في فلسفة الحكم، حيث إتسمت كل مرحلة حكم في مصر بما يشبه المفاصله عما قبلها عبر ممارسة عملية إزاحه لرموزالفكر ومفكرين المرحلة التي سبقتها إرتضاءا أو جبرا عبرعملية قشط

قسرية. والمتبقي هم من القادرين على ممارسه دور بأفكار الحكم الجديد. وقد مارس كل حاكم مصرى تلك العملية.

ففى بداية العصــر الجمهورى ١٩٥٢ حدثت عملية قشــط وإزاحه لكل ما يمت بصله للعهد الملكى تحت تصور بناء النظام الجمهورى الحديث، وتم له ما أراد ولكن وفق تصوراته الخاصة.

ولكن ما أن إنتهى عصــر الرئيس " جمال عبد الناصــر " قام الرئيس " أنور السـادات " بعملية قشـط وإزاحه لعصــر " عبد الناصــر"، تحت تصــور بناء شــرعية جديدة لحكمه بعد إنتصــار أكتوبر ١٩٧٣. ولكن مع طلقات الرصــاص التي إغتالته ومع تولى نظام الرئيس " مبارك " الحكم حدثت أكبرعملية قشط وإزاحة لكل ما يمت للفكر والحضارة بصله أوصلت البلاد إلى ما يشبه الموات وعدم اليقين بوجود المستقبل مع إنهيار التعليم.

وهو ما جعل من ثورة ٢٥ يناير خاليه من الدســم، خاليه من الأفكار والمفكرين، وغلب عليها بقايا فتات أفكار من نتاج عمليات القشــط والإزاحه التي مورسـت على الأفكار والمفكرين طيلة سـبعة عقود ماضـيه عليها.

بعدما أصبح معروفا لكل من يحاول أن يوقف عملية القشط والإزاحه وبناء نمط تفكير وصــناعة أفكار جديدة أن يكون عقابه على شــاكلة " ســرير بروكسـت "، تلك الميثيولوجيا اليونانية السـوداء التي تحكي عن بروكسـت

قاطع الطريق الذي لديه سـريرين يفرشـهما على قارعة الطريق، واحد على مقاسه ينام عليه، والأخر للضحية التي يقتلها، وعندما كان يمر أحد الضحايا في الطريق يطلب منه أن ينام على السرير، فإذا كان الضحية طويلا عن السرير قطع أوصاله ليناسب السرير، والعكس مع القصير فيقوم مط جسم الضحية، ولكن بمرور الأيام أصـبح مهووسـا بفكرة بتقطيع الأوصـال بما يناسـب سريره، وأصبح بروكست نموذجا للمعد سلفا من قبل الأقوى للسيطرة على الضعيف.

هل بروكسـت بنموذجه الدموى هو ما تم تنفيذه وهو ما أوصـلنا إلى تلك المرحلة؟

**

فى إحدى المدن الألمانية قديما كانت الفئران مشكلة كبيرة جدا تؤرق الناس حتى أصبحوا يخافون على حياتهم بسـببها، هنا وضـع عمدة المدينة مكافأة كبيرة لمن يخلصـهم من تلك الأزمة الوجودية. وفى أحد الأيام دخل المدينة رجل زمار يرتدى ثيابا مزركشـه وعرف بقصـة الفئران، فعرض على عمدة المدينة أن يخلصـهم من الفئران فأجابه لمطلبه!!، وفى ثانى يوم سمع سكان المدينة صـوت لحن مزمار جميل فخرجوا ليسـتطلعوا الأمر فوجدوا الزمار يلحن بمزماره في الطريق ووجدوا كل فئران المدينه تخرج من جحورها وتمشـى خلفه في مشـهد مهيب، وسـار في طرقات المدينه حتى وصـل إلى

حافة النهر فإذا بالفئران تقفز إلى الماء وتموت غرقا وسـط تعجب أهل المدينة. وهكذا تخلصت المدينة من مشكلة الفئران للأبد، ولكن الزمار لم يأخذ مكافآته بسبب إتهام أهل المدينة له بالسحر.

وكانت تلك القصـة هى لب كتاب " من الذي دفع للزمار – الحرب الباردة الثقافية " للمؤلفه " فرانسيس ستونر سوندرز "، حيث ترصد في سرد شيق وقائع وأسـرار عن قيام المخابرات المركزية الأمريكية بإنشـاء " منظمة الحرية الثقافية الأمريكية " عقب الحرب العالمية الثانية من أجل مكافحة الشـيوعية، وتطورالأمر من أجل الهيمنه الثقافية على شـعوب العالم، عبر إنشـاء المجلات والإذاعات والجرائد وتمويلها من وراء السـتار، وقد إسـتخدمت فكرة الزمار الألمانى القديمه، وجندت كتابا كبارا مثل " أرثر ميللر " و" جورج أوريل "ـ صـاحب روايتى " مزرعة الحيوان " و" ١٩٨٤ " اللتان تدخلت وكالة المخابرات الأمريكية بتعديلات عليها بل وتحويلها إلى أفلام للكبار والصـغار ـ ليكونوا زمارين لجذب الجماهير حول العالم حول الثقافة الأمريكية بعيدا عن الشـيوعية والتبشـير بالنموذج الأمريكى، وكذلك جندت زمارين عن طريق غير مباشـر لا يعلمون أنهم تحت التجنيد طبقا لإحدى التوجيهات السـرية، حيث يعتقدون بأن ما يقومون به هو لإقتناعهم الشخصى بأن كل ما تقوم به الحكومة الأمريكية صحيح.

وكانت طريقة عمل " الزمار " هى عبر الإنتصـار لمفهوم " الحقيقة والتميز

" التي توصـل الناس إلى  أن افكار واشـنطن هى الحقيقة، عبر عملية تزييف الوعى الإجتماعى للناس حول العالم وهو ما يسهل عملية التمييز التي حتما ستصب في إتجاة الثقافة الأمريكية، كل هذا عبر إستخدام الدعاية الزائفة ضد ما يناقض الثقافة الأمريكية وحتى يبقى الجمهور قطيعا حائرة مذهوله بإستمرار

هل ما زال للزمار دورا وتأثيرا حول العالم؟!

**

مع سـيادة نموذج " القشـط والإزاحة " في العقلية المصـرية إلا أن هذا النموذج لم يكن ليسـود ويأتى بالنتائج المرجوة حتى مع إسـتخدام العنف، لهذا فإنه تاثر بفكرة " الحقيقة والتميز " التي كانت قائمة على مهاجمة الأفكار المعادية بطريقة مبتكرة، ألا وهى مهاجمتها عن طريق تفريغها من مضـمونها وإيجاد بديل من داخل سـياقها والدعاية له عبر " الزمار" الذي يقوم بدوره الكاتب الجاسـوس، أو الكاتب المجند من أجل الدعايه المباشرة وغير المباشرة له.

يلاحظ هذا في الدعاية لفكرة الناصـرية، وهى فكرة منقحة للإشـتراكية بعيدا عن الشـيوعية التي يراها النظام الناصـرى لا تناسـبه في مواجهة الشـيوعية وبعيدا عن الغرب. وكذلك فكرة الدعاية لدولة العلم والإيمان للرئيس " السـادات " في مواجهة أعداءه من التيار الناصرى واليسـارى، وقد إسـتخدم

كلا النظامين وسائل الدعاية لجذب الوعى الشعبى ناحيتهما من أجل تثبيت أركان حكمهما، وذلك عبر تجييش الكتاب والمفكريين للقيام بدور الزمار الألمانى لطرد ومهاجمة أعدائهما، مما يجعل من عملية القشــط والأزاحة وكذلك الحقيقة والتمييز أن تؤدى إلى النتيجة التي يرجوها النظامان الا وهى التخلص من الكتاب والمفكرين الغير موالين وجعل الحقيقة والتمييز في وجه الجماهير هى الولاء للنظام السياسى.

هل تبقى من هذا النظام القديم ما يوحى بوجوده إلى الأن؟!

**

مع تراجع دور وسائل الدعاية التقليدية كالتلفزيون والجريدة والكتاب، ومع تطورالتكنولوجيا وظهور السوشيال ميديا وسيطرتها على الفضاء العالمى ودخول الذكاء الإصطناعى كمولد للأفكار، أصبح دور الزمار أو الكاتب الجاسوس دورا هامشيا من الماضى، وأصبحت طريقة محاصرة الأفكار بتفريغها من مضمونها من الماضى مع سقوط كل الأفكار وسيادة النموذج الليبرالى الأمريكى.

وأصبحت أدوات الدول للسيطرة، لا تمرعبر القشط والإزاحة أو الحقيقة والتمييز بالوسائل القديمة، بل عن طريق السيطرة على ادوات التكنولوجيا والتحكم فيما يقال وما ينشر بكبسة زرعلى الكمبيوتر، بل تستطيع أن تحدد إتجاهات الرأى العام دون أن تبذل مجهودا كبيرا، وأصبح النموذج

الأمريكى للسيطرة عبر التكنولوجيا هو المفضل لكل الدول حيث يوفر لهم كثيرا من المال والمجهود للسيطرة، وتحول الزمار من كاتب جاسوس أو كاتب مجند بغيرعلم إلى هاشتاج أو صور وأخبار تتداولها جيوش إلكترونية تديرها تلك الدول. ولم تعد الثقافة والأفكار هى الهاجس الذي يؤرق تلك الدول في تلك الأيام الكالحة.

ماذا عن مصر؟!

**

مصر، بعد ثورة ٢٥ يناير٢٠١١ وما تلاها في ٣٠ يونيو ٢٠١٣، مع تقادم سياسة القشط والإزاحة على الطريقة المصرية، والحقيقة والتمييز على الطريقة الأمريكية، ووسط سيادة النموذج التكنولوجى الأمريكى، أعتقد أن مصر أصبحت مفرغه بالكامل من الأفكار أو بمعنى أدق ليست راغبه في إحياء أو إبتكار أفكار جديدة للمستقبل، وأنها أصبحت تعانى بشدة مما حصل لها من سياسات فكرية سابقة تقوم على القشط والإزاحة للأفكار والمفكرين وصولا لفكرة الكاتب المدجن، وأصبحت كسفينة وسط محيط هادر من التكنولوجيا لا تستطيع أن تتفادى موجاته العاتيه، فما بالك من سيطرته على شعبها من خارج حدودها.

لهذا على مصر إذا أرادت أن يكون لها مكان في المستقبل فعليها إنتاج أفكار جديدة للمستقبل وتجييش الكتاب والمفكرين من بقايا الزمن والحاضر من

أجل بناء نموذج فكرى يحافظ على الهوية، والتخلص نهائيا من فكرة القشط والإزاحة وإعطاء الحرية لأبناءها للتعبيرعن أنفســهم، وكذلك التخلص من الكاتب الجاســوس أو الزمار لتمرير فكرة الحقيقة والتمييز على الطريقة الأمريكية من أجل تداول حر للأفكار من أجل المستقبل.

هل يحدث ما أتمنى؟

ممكن!!!

❊ ❊ ❊

# الملاك: أشرف مروان الجاسوس المخادع

هناك مقوله تقول " الأصـدقاء يأتون ويذهبون، لكن الأعداء يتراكمون "، هذه المقوله تلخص حياة أشـهر شـخصـيه غامضـه في التاريخ المصـرى الحديث، شـخصـيه إمتزج فيها التاريخ بالنسـب العائلى بعوالم السـلطه والمخابرات وعوالمها السـفليه والإنتقالات الحاده من المعسـكر الشـرقى إلى الغربى، والحرب والسلام، كل هذا مغلفا بعوالم الثراء المالى ومغرياته وفسـاده، شـخصـيه أثارت العداوات الكثيره منذ صـعودها بدأ من عداوات العمل في رأس السلطه في مصر، وعداوات البيزنس المالى، وحتى عداوات عوالم المخابرات وأجهزتها.

لهذا فإن كتاب " الملاك: الجاسوس المصرى الذي أنقذ إسرائيل " للكاتب الإسرائيلى " يورى-بار جوزيف " يعطينا صوره أخرى عن تلك الشخصيه من على الجانب الآخر من شـاطئ العداوه التاريخيه بين مصـر وإسـرائيل، وعلى الرغم من أن الكتاب يعتبر في السياق العام من الكتب الشيقه والجميلة السـرد والتى لايترك لك مجالا لترك ولو كلمه لأنه يحتوى على معلومات كثيره وتعريفات بشـخوص أكثر ويتعامل بالمنطق البانورامى للأحداث حيث يضـعك في حيث يريد إلا أنه جعل في النهايه الصـوره مبتوره تجعلك تخمن أكثر مما تتعتقد، كما هو معروفا في الكتب التي تتناول العوالم السـريه لعالم المخابرات.

الكتاب لا يعطى إجابات محدده وواضـحة المعالم عن كون أشـرف مروان جاسوس إسرائيلى أو كونه عميلا مزدوجا خدع الإسرائيليين، ولهذا تارة ما نجد الكاتب يؤكد في مواضـع أنه " أعظم " جاسـوس لدولة إسـرائيل وفى أخرى يشـكك في تلك الروايه عبر شـكوك من داخل أجهزة المخابرات الإسـرائيليه نفسـها. ولكن الكتاب يقف عند حقائق بعينها لم تخأطها العين ومنها:

١- أن أشرف مروان عمل بالفعل لصالح الموساد الإسرائيلى وأنه قد أبلغها بميعاد حرب أكتوبر قبلها بيوما واحد!!!! ومع ذلك من بين ثنايا الكتاب يتضـح أنه كان بلاغ " اللاعوده " وأنه كان بلا فائده كبيره لم تمنع الحرب حيث أنه قبلها لم يعط الموساد تفاصيل لقاء السادات والملك فيصل والذى أخبر فيه السادات فيصل بميعاد الحرب، وكذلك كلما طلب منه التأكيد على ميعاد الحرب كان يعطى تقديرات شخصيه عكس المعلومات الأخرى التي كانت موثقه، علاوة على تأكد الموسـاد من أنه لا يعرف ميعاد الحرب لأنها تأكدت أنه لم يكن في إجتماع القيادة العليا في مركز العلميات ١٠ عندما تم الإتفاق على ميعاد الحرب. كل هذا ومع تجمع سـحب الحرب كان أشـرف مروان يوم ٥ أكتوبر في لندن ودخل عليه المهندس الراحل " محمد نصـير " رئيس شركة " كليك " فرع فودافون في مصر سابقا، متسائلا عن القرار الذي إتخذه وزير الطيران المدنى في مصـر بتحويـل مسـار الطائرات المدنيه وتحويلها إلى دول مجاوره وهو ما جعل مروان يقفز من على الكرسـى

متفاجآ " الحرب ستندلع غدا " ودخل غرفه نومه وأجرى إتصالات متعدده، - طبقا لشهادة المهندس محمد نصير -

ولكن ومع تدارك الخطا والتراجع عن تحويل مسار الطائرات إلا أن إجتماعا في المساء جرى بين مروان وإيلى عيزرا ضابط المخابرات العسكريه ودوفى ضابط الموساد المشرف على مروان حتى ساعة متأخره من الليل لم تقنع المقابله في نهايتها ايلى عيزرا بأن الحرب قائمه لا محاله وأن تقديرات مروان تتطابق مع مصادر أخرى ترجح نشوب الحرب. وأنطلقت الحرب وظهر أن عمليه خداع واسعه قد تمت للإسرائيلين ولكنهم ظلوا على إقتناع أن مروان عميل ممتاز ما عدا ضابط الموساد إيلى عيزرا الذي ظل يشك فيه إلى أن إنتقم منه بكشف إسمه كعميل للمخابرات الإسرائيليه قبيل موته بشهور.

٢ -الكاتب لم يستطع الخروج عن السياق الروائى الإسرائيلى لقصه مروان كعميل ممتاز، ولكنه لم يفسر أهميه إقتناع السادات به؟ ولا كيف كان يخرج بالوثائق تحت سمع وبصر الدولة المصرية وأجهزتها المخابراتيه الحربيه والعامه مع تأكيده على أن سلوك مروان كان محل شك من قبل الرئيس عبدالناصر نفسه؟

٣- الكاتب في سرده البديع للروايه الإسرائيليه عن أشرف مروان أراد أن يدس السم في العسل ومشى للحديث عن التقليل من أهمية نجاح القوات

المسلحه في عبور القناه، وعمليه الخداع الإستراتيجى لجهاز المعلومات الإسرائيلى الإستخبارات الحربيه وجهاز الموساد، ولكنه لم يفسر أهمية الوقيعه بين جهاز المخابرات الحربيه والموساد والتى كان مروان سببا فيها.

٤- يأتى أهم جزء في الكتاب والذى يتحدث عن كيفية الشك وإنهاء التعامل مع مروان قبل موته بشهور، حيث تم الكشف عن عملية خداع أخرى قام بها مروان آخر في مكان آخر ولكنه ضابط سورى كبير تم تجنيده من قبل ضابط كبير في الموساد " يهودا جيل " ظل يمد الإسرائليين بمعلومات خاطئه طيله سنوات طويله وهو ما سبب فضيحه كبرى للجهاز والضابط يهودا جيل، وهذا أدى إلى مراجعه كل العملاء لإكتشاف ما إذا كان هناك عمليات مشابهه، وبدأ الشك في مروان لأنه بدا مشابها للضابط السورى حيث أصر طوال ٢٨ عاما من التعامل مع الموساد على عدم تغيير الضابط " دوفى " المشرف عليه بل وإصراره على رفض تبديله بآخرين وعندما تمت مفاتحته بتبديل الضابط " دوفى " رفض وهنا كان القرار بإنهاء التعامل وصحب ذلك إفشاءا لإسمه كعميل للموساد وسط حمله منظمه لتشويه سمعته التي كانت قد طالتها الصحف منذ اليوم الأول لدخوله الرئاسه المصرية وزواجه من إبنة الزعيم جمال عبدالناصر، وحتى آخر صفقاته المريبه في لندن قبل موته

٥- مات أشرف مروان سقوطا من شرفة شقته في البرج السكنى في لندن، وكانت هذه فرصة الكاتب لتمرير فكرة عن الإنتقام الموازى من أشرف

مروان حيث قسم أصحاب المصلحه من موته إلى ثلاثه، الموساد والمخابرات المصرية أو بالأصح السلطه العليا في مصر بجانب منافسيه في عالم البيزنس مثل الملياردير المصرى الشهير محمد الفايد. ولهذا نراه يستبعد منافسيه في عالم البيزنس، ويلمح إلى أن الإنتقام الإسرائيلى تم على يد ضابط المخابرات " إيلى عيزرا " الذي أراد الإنتقام لما تأكد داخله من خداع مروان له وللموساد والمخابرات العسكريه، وهنا يوحى الكاتب إلى أن هذا الإنتقام الناعم قد أوجد إنتقاما موازيا من المخابرات المصرية التي إلتقطت الطعم وأرادت التخلص من مروان الذي إكتشفت تجسسه وعمالته وراح يبرر في سذاجه واضحه أن المخابرات المصرية هى من قامت بفعل القتل عبر تمرير أحداث سقوط الفنانه سعاد حسنى والفريق الليثى في أحداث مشابهه في لندن، ولكنه لم يبرر لماذا لم يعطى جوابا شافيا عن أهمية تلميح أشرف مروان بكتابة مذكراته وأكتفى بأن المذكرات ستكون ضد مصر فقط وليس إسرائيل.

٦- إلى هنا تنتهى الروايه الإسرائيليه في كتاب " الملاك " ولكنها لم تستطع تفسير بعضا من الروايه المصرية عن أشرف مروان، الذي وصفه الرئيس السابق حسنى مبارك " بالوطنى الحقيقى المخلص لوطنه "، وتقليد السادات له لأوسمه رفيعه لمجهوده في حرب أكتوبر.

٧ -الكتاب في مجمله محاوله إسرائيليه لتمجيد ما قام به الموساد في تجنيد

جاسـوس لها في أعلى مراتب السـلطه في مصـر، لكنه وصـل في النهايه إلى أسئله لم يجد لها إجابه مثل " لماذا إستمر في العمل مع إسرائيل لسنوات في ظروف تشـكل خطرا واضـحا على مهنته وحياته حتى بعد ١٩٨١ حين ترك مصر لمصلحته؟" .

يبدوا أننا لن نجد نهاية منطقيه لقصـــة أشـــرف مروان من خلال الروايه الإســـرائيليه إلا إذا ظهرت روايه مصـــرية موثقه، على الرغم من الحقائق الوارده في الروايه الإســرائيليه التي تؤكـد في بعض جوانبها أهمية تكريم القياده المصرية لأشرف مروان حيا بأوسمه وميتا بجنازه رسميه.

إلى أن تروى الروايه المصـرية فإننى قد تولد لدى قناعه شـخصـيه أننى أمام عميل إستخبارات مرواغ مخادع إستفاد بأقصى ما يمكن من عمله على كلا الجانبين لكن يقينا فإنه ليس عميلا إسـرائيليا. وأن أعداءه أكثر من أصـدقاءه وهذا ما جعل منه لوحة نيشـان لتقييم عصـر السـادات ووصـفه كله بالفسـاد على الرغم من إنتصار اكتوبر المجيد.

❋ ❋ ❋

# المثقف المغالط.. رؤية مصرية!!

عندما تحترف الكتابه وتصبح مهنتك عندها تتساوى الحقيقه مع الكذب على طرف سن القلم على حسب مقتضيات المصالح.. هذا هو المحور الذي يدور حوله كتاب " المثقفون المغالطون.. الإنتصار الإعلامى لخبراء الكذب " للكاتب الفرنسى " بسكال بونيفاس " والذى يحاكم فيه فكرة التغير المفاجئ والفج للمثقفين الفرنسيين تجاه قضايا بعينها يزيفون بتلك المواقف وعى الناس.. وهو يضع مقياسا أو تعريفا جعله حاكما على كل الشخصيات المثقفه في المجتمع الفرنسى الذين تداول أسمائهم بين دفتى الكتاب والذين عرفهم بالمثقفين المغالطين عندما قال " المثقف المغالط ليس منوطا به ترويج الأفكار العاريه من الصحه فقط بل نشر الشائعات ضد كل من يخالفه الرأى، وهو الذي يصنع العمله الثقافيه المزيفه ليضمن تربعه على عرش اليقين "

ويمضى الكاتب على إمتداد الكتاب يعدد نماذج ومواقف لهؤلاء المغالطين وحجم تأثيرهم على الرأى العام الفرنسى في مقابل مثقفين أصحاب مواقف وطنيه ثابته لا تتاح لهم المنابر الإعلاميه كما تتاح للمغالطين، ولكنه قد إنصب تركيزه على شخصيه إعتبرها قمة أداء المثقفين المغالطين في فرنسا، وهى شخصيه وصفها بالسيد المطلق أو النموذج وهى شخصية " برنار – هنرى ليفى " الذي عرفه بأنه " الذي إبتكر نموذجا وأتخذ منه مرجعا، مرات

يترنح على الواقع، ومرات أكاذيبه يندد بها في مقالات وكتب "،

" لقد بنى مسيرته المهنيه بلا حشمه من الكذب، مع ذلك يقدم نفسه كنموذج مثالى للمثقف يؤثر في حياة الأفكار ويظهر إلتزامه إخلاصا نزيها وبلا حدود للقضايا الأكثر نبلا، أشتهر كمثقف ينور الجماهير في حين هو مضلل إعلاميا، عرف بأنه شخص ملتزم تماما من أجل الأخلاق في حين هذه هى الوقاحه بذاتها "

وفى خاتمة الكتاب يطرح الكاتب سؤالا عن العلاقه مع الصدق والفرق بين الحقيقه والكذب، وهل يمثل معيارا أم لا للتميز والمصداقيه؟!!

وما أن تترك الكتاب وتدعه جانبا حتى يتملكك شعورا حماسيا للإجابه عن ذاك السؤال الذي تركه الكاتب بين يديك بدون إجابه واضحه!! وتشعر بقدره غريبه على الفرز والتجنيب وأنت تنظر على الواقع المصرى الذي إمتلئ بالمثقفين المغالطين الذين يزيفون الواقع بل ويزيفون التاريخ الماضى والحالى لصالح نموذج معرفى مضلل يضمن إستمراريتهم على واجهة الأحداث، وهذا حدث مكرر في التاريخ المصرى الحديث حيث إنفرد المثقف المغالط بالمشهد مدعوما بقوى متعدده في مواجهة المثقف الوطنى الحر الغير كذوب، نراه في شخصية الشاعر الكبير " أحمد شوقى " الذي كال الإتهامات وصنع نموذجا يحتذى به في النيل من ثورة أحمد عرابى شعرا ونثرا، في مقابل مثقفين وطنيين صنعوا لأنفسهم مجدا في قلوب الناس

مثل رب السيف والقلم " محمود سامى البارودى " وخطيب الثوره " عبد الله النديم "، لكن دائما في تاريخنا ينتصر للمثقف المغالط لأنه تتوفر له الإمكانيات الإعلاميه الهائله والتى تتيح له السهوله في تزييف الحقائق وصنع حواجز ضد تمدد المثقفيين الوطنيين..

وعلى مدار التاريخ الحديث بعد ثورة عرابى تستطيع وبكل بساطه أن تلمح المثقفين المغالطين بقليل من التروى، فهم كثر تراهم ينشطون في الأحداث الكبيره متصدرين المشهد العام يحملون سيوف التبرير والتزييف، تلمحهم في ثورة ١٩١٩، تلمحهم في عهد عبد الناصر وفى عصر السادات وفى عصر مبارك، تراهم على الشاشات وفضاءات الإنترنت بعد ثورة ٢٥ يناير وما تلاها في ٣٠ يونيو من كل شكل ولون، على إختلاف المشارب السياسيه والثقافيه يحيلون حياة الناس إلى جحيم من الأكاذيب والمغالطات وصنع النماذج التاريخيه الخاطئه التي تزييف عقول الأجيال القادمه.

لن تعدم عزيزى القارئ في التعرف عليهم، فقط إسمع وشاهد فقد أصبحت الساحه المصرية ساحة مفتوحه لخبراء الكذب والتجهيل الإعلامى على طرفى الحاله المصرية، كل ما عليك فقط هو تحرى الصدق عندها ستجد أن الفرق بين المثقف المغالط والمثقف الوطنى واضح كالشمس في كبد السماء.. ولن تختلف الرؤية المصرية عن الرؤيه الفرنسيه في تعريف المثقفين المغالطين فهم نموذج ثابت في حياة البشر.

# المثقف المصري والبجعة السوداء

الزعيم السـوفيتى " فلاديمير لينين " كان له رأى في المثقفين أثار لغطا كبيرا خصـوصـا وهو يعد من كبار المثقفين الثوريين الذين أثروا في تاريخ العالم الحديث حيث قال " المثقفون هم أكثر الناس قدرة على الخيانه لأنهم أكثرهم قدرة على تبريرها ".. وقد تلقف كثير من دعاة الجهل والتجهيل والإرهاب الفكرى تلك المقوله لمهاجمة دعاة الفكر ونشـر الوعى بين الناس! لكن محاولتهم ذهبت عبثا فقد تبين أن " لينين " كان يسـتخدم تلك الكلمات لمهاجمة أعداءة من المثقفين المناوئين لأفكارة الشيوعيه.

ولكن تلك الكلمات لم تقف عند هذا الحد بل بمرور الأيام وحتى بعد سـقوط النظرية الشيوعية والإتحاد السـوفيتى ممثلها السياسـى أصبحت عنوانا عريضا للطعن في كل المثقفين في مقابل مثقفين أرادوا بتلك الكلمات أن تكون وقفه حقيقيه أمام أنفسـهم وأمام الناس ليقرورا مع من يقفوا! السلطه أم الناس؟ هل هم دعاة خيانه وتبرير أم دعاة حريه وفكر؟

**

أعتبر مشـهد دخول شـيوخ الأزهر لمجلس " محمد على " وإلباسـه ثوب الولايه على مصـر وإعلانه واليا عليها رغم أنف الخليفة العثمانى إنتصـارا للمثقفين من قبل دعاة التنوير ولما لا فهم قادة المجتمع الحقيقيين ولكن فاتهم أن الأزهر لم يكن قلعة للمثقفين بمفهومهم الحديث، ولكنه كان قلعة

دينيه كافحت وحافظت بقدر إستطاعتها على ما تبقى من أمه مهزومه تكافح للخروج من عباءة القرون الوسطى المظلمه.

ولكن ظهور مصطلح المثقف في مصر بمفهومه الحديث لا ينطبق إلا مع بداية ظهور الشيخ " رفاعه رافع الطهطاوى " الذي نستطيع أن نطلق عليه بكل أريحيه بأنه أول مثقف مصرى بالمفهوم الحديث، ولكنه رغم إنتاجه العلمى والأدبى الغزير نأى بنفسه عن السياسة ومعتركها وركز على أهمية تعليم الشعب رجالا ونساءا على حدا سواء مدعوما بسلطة الدولة التي أتاحت له أن يتبوأ مكانه عاليه في سماء الثقافه والعلم في مصر الحديثه.

ولكن في المقابل كان " الطهطاوى " أول مثقف أيضا مورس ضده فعل " التخوين " وفعل " التبرير " فهو الشيخ الأزهرى المعمم الذي تحول إلى مثقف عصرى الذي واجه إتهامات كبيرة بالخيانه للدين من دعاة القرون الوسطى من بعض الشيوخ الأزهريين الذين كانوا يرفضون التحديث والحداثه، وبالخيانه من دعاة الشعارات الجوفاء الذين يريدون أن يرفل المجتمع في جهله حتى تسهل قيادته من بقايا المماليك والأتراك الذين كانوا يتحكمون في مقدرات البلاد. في مقابل دعاة التبرير من أنصار التحديث الذين رأوا أن عليهم واجب في الدفاع عن الطهطاوى. وبهذا نستطيع أن نقول أن أول تقسيم حدث للمثقفين بين الخيانه والتبرير! وبين المولاة والمعارضه للسلطه! عنوانه العريض هو الشيخ "رفاعه رافع الطهطاوى ".

ويبقى الســؤال، هل تكلم الطهطاوى مدافعا أو مهاجما عن ما أثير حوله من لغط؟

الشيخ الطهطاوى كان شخصيه غير صداميه يكن إحترام متساوى قائم على التوازن بين سلطة الدولة وسلطة الأزهر مما جعله شخصيه مدعومه بقوه في الإصلاحات التي قام بها لصالح الناس، وكان ينأى بنفسه عن صدام يشغله عما ينفع الناس حتى أصــبحت المدارس والتعليم متاحيين للفقراء من أبناء الشعب المصرى.

ســأل يوما الطهطاوى لماذا لا ترد على مهاجميك من بعض شــيوخ الأزهر فقال " لقد تجاوزت السبعين عاما ولا اريد أن يعرض بى؟! " بهذا الكلمات فقد ترك الطهطاوى حســم مســألة التخوين والتبرير لغيرة من المثقفين من بعده فقد أدى ما عليه لصــالح الناس وأنتشــر التعليم الحديث كالنار في الهشيم

**

فى كتاب " البجعه الســوداء.. تداعيات الأحداث الغير متوقعه " للكاتب اللبنانى الأصـل " نسيم طالب " والذى يتمحور حول فكرة الصدمه النابعه من التمترس خلف الأفكار الثابته والمعلبه حيث يعطى مثالا عاما لمدخل الكتاب وأفكاره العامه حيث يقول " قبل أن يتم إكتشاف أستراليا، كان أناس العالم القديم على قناعة بأن جميع طيور البجع إنما هى بيضــاء، ولقد كان

هذا الإعتقاد راسخا فيما كانت الأدلة الواقعية تشهد له، ولعل الوقوع على البجعه السوداء الأولى كان يمثل مفاجأة مدهشه للبعض من علماء الطيور، ولكن هذا ليس مربط الفرس في هذة القصه فالمسألة هى أن هذه الطرفة تقف شاهدا على شدة محدودية معارفنا المستقاة من الملاحظه والتجربه، كما تشير إلى مبلغ هشاشة مداركنا عن الأشياء والأمور ".

ما أن تنتهى من الكتاب حتى ترى أن المثال السابق لا ينطبق في مصر إلا على المثقف المصرى الذي أصبح كمن صدمته شاحنه وأصبح ممددا على سرير في غرفة العناية المركزه موصولا بأنابيب التغذيه من أفكارة القديمه المعلبه من الليبراليه والقوميه والدينيه واليساريه لا يستطيع الفكاك منها، يعشق الثبات ويدافع عنه حتى ظهرت ثورة ٢٥ يناير التي مثلت البجعه السوداء والتى شهدت على مدى هشاشة المثقف المصرى ومدى إدراكه لطبيعة الواقع حتى أننا نجده لم يكن داعيا حقيقيا للثورة أو راغبا في تحمل تبعاتها بل إنه لحق بها لعل وعسى أن ينسب له أنه مكتشف أو داعيا لإكتشاف البجعه السوداء.

**

مع نهاية القرن التاسع عشر ومع إنتشار أدوات الثقافه من المطابع والصحف والكتب المترجمه بدأ يتبلور شكل المثقف المصرى وأصبح متفاعلا مع فكرة تثوير المجتمع وإستنهاضه وكانت فكرة المولاه أو المعارضه للسلطه

الحاكمه لا تشــكل عائقا أمام الإنتاج الفكرى والثقافى بأشــكاله المختلفه وتمثل هذا في الثورة العرابيه والتى مثلت بقائدها الزعيم " أحمد عرابى " أول ظهور للبجعه الســوداء في تاريخ الثقافه المصــرية الحديثه حيث مثلت الثورة صدمه ضخمه لما هو معتاد ومتعارف عليه من أن الثورة عمل لا يمت لأفكار البلاد بصــله وأن الخروج على الحاكم عملا خارج عن التعاليم الدينيه والأعراف المتوارثه، لهذا فليس مســتغربا أن يحدث أول إنشــقاق ثقافى حقيقى آذن لحقبه جديدة في مصر حيث أصبح للثقافه ضفتان تمارس فعل السياسة بين المولاه للسلطه في مقابل المعارضه لها. وقد أصبح نموذج الشــاعر أحمد شــوقى في مقابل الشــاعر الشــعبى عبد الله النديم هو العنوان العريض والترجمه الحقيقيه للتداعيات الأولى لمهاجمه خط الشــيخ الطهطاوى الحداثى الخيانه والتبرير للأحداث من خلال المثقفيين ومواقفهم

ولكن هذا لم يمنع أن يكون هناك إبداع كامل أثرى الثقافه المصــرية بعيدا عن التخوين والتبرير

**

لم تكن ثورة ١٩١٩ بقيادة الزعيم " سعد زغلول " حدثا خارج السياق العام ولم تكن كالبجعه الســوداء التي ظهرت فجأة بل كانت حدثا متصــلا بتنامى الثقافه وإنتشــارها في مصــر رغم محدودية إنتشــارالتعليم، ولكنها شــهدت

تأثيرا كبيرا للمثقفين وبدايه لتأثير حقيقى لهم في الشـأن المصـرى، لكن في المقابل رسـخت لفكرة الموالاة والمعارضـه التي غيرت شـكل التاريخ في مصر ورسخت لفكرة الوطنيه المصرية وبدأت تترسخ في مصر ثقافة قبول الآخر وتوارت فكرة التخوين والتبرير المقابـل وأصـبح ظهور البجعه السـوداء كحدث إسـتثنائى هو محل تقدير وسـط شـيوع الأفكار وسـيولتها وتفاعل الناس معها وهو ما أظن لبداية النهايه لعصر القرون الوسطى وبداية الدولة المصرية الحديثه مع قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

**

كان للثقافه والمثقفين المصـريين دورا بارزا في مصـر بعد ثورة يوليو٥٢، فلأول مرة أصـبح لمصـر قوة جبارة عرفت " بالقوه الناعمه " شـكلت ولسـنوات طويله وعى المصـريين والعرب جميعا وآثرت في المكون الحضـارى العالمى في فترة الخمسـينات والتسـينات من القرن العشـرين، ولكن منطق التخوين والتبرير والموالاة والمعارضـه للسـلطه لم يغب عن المشـهد بل كان له بعدا خطيرا فقد ظهرت بواكير الإقصـاء للآخر لعبت فيه الدولة دورا كبيرا لكن الدور الأكبر كان بين المثقفين أنفسـهم على إختلاف مشاربهم الثقافيه والفكريه فقد مارسوا ضد أنفسهم أبشع اساليب الإقصاء وعدم قبول الآخر لكن ذلك لم يعوق الإنتاج الأدبى والفكرى والثقافى الغزير الذي ساد إبان حكم الرئيس " عبد الناصر "

حتى ما أن حانت نهاية فترة الحقبه الناصريه حتى بدأت تباشير بدايه أخرى لم تكن تخوينا أو تبريرا ولكن بداية " لتكفير " الآخر وصولا لإستباحة دماء المثقفين.

**

لم تكن الفترة التي تلت الحقبه الناصريه وحتى نهاية عصر الرئيس السابق " حسنى مبارك " لها ملامح مميزه نستطيع أن نشير إليها ومن يقول بأن نجيب محفوظ حصل على جائزة نوبل للأداب في عصر " مبارك " فهو مردودا عليه " فنجيب " إبن ما قبل تلك الحقبه بسنوات. لقد حدث تراجع عام وأصبح إختفاء المثقفين المفاجئ من الساحه شيئا معتادا وسط تراجع كامل للحياة الثقافيه المصرية التي تراجعت بشدة بعدما أصبح التعليم وسيلة للترقى الحكومى وألتحقت به الثقافه وصارت حكرا على المتحلقين حول السلطه حتى توارى الإبداع وأصبح الدخول لمساحة الضوء والشهرة المرتبطين بالإبداع يجب أن يمرعبر أبواب السلطه حتى أصبح التخوين والتبرير هما السيدان والحاكمان لطرفى المعادله بين الموالاة والمعارضه، بل أصبحا المتحكمان في حركة الإبداع حتى وصلنا لنهاية عصر مبارك وقد خمد الإبداع وضاعت القوة الناعمة لمصر ودخلت الثقافه والمثقفين المصريين في غالبيتهم الكاسحه وراء المتاريس التي صنعتها الأفكار المتوارثه والتى أصبحت تستعصى على التطوير والتحديث وصولا للحداثه، لهذا لم يكن

مســتغربا أن يفاجئ المثقف المصــرى بأن هناك شــباب مثلوا فعل البجعه السوداء الخارجه عن المألوف قد وقف متسلحا بأفكار عصرة يقود الشارع بجموعه الهادرة، ونراة ســرعان ما قفز ناهضــا محاولا للحاق بهذا الحدث الجديد المفاجئ له، لكنه لم يكن على مســتوى الحدث فنرى كل المثقفين على خلاف مشــاربهم الثقافيه يحاولون إســباغ ثورة ٢٥ يناير كلا بصــبغتهم الخاصه حتى أصبح الصراع بين التيارات السياسيه والثقافيه الحدث الأبرز وهو ما ســرع بسـقوط الجميع مرة أخرى وســريعا في ٣٠ يونيو ٢٠١٣. ولم يســتفد أحدا من ظهور البجعه الســوداء وكأن المثقفين المصــريين مثل أهل الكهف الذين ماتوا لســنوات طويله ثم أحياهم الله فرأوا ما حدث لهم ثم ماتوا مرة أخرى

**

لقد لعبت أدوات الســوشــيال ميديا " الفيس بوك " و" تويتر " دورا بارزا في تاريخ الحياة المصــرية الحديثه فقد مارس فيها ومن خلالها الشــباب المصــرى حريته بعيدا عن قوالب الحياة المصــرية المعتادة، إســتخدمها في الثورة وفى النقد وفى التخوين وفى التبرير وأكتشــف من خلالها فعل الثورة (البجعه السوداء). ولهذا ليس مستغربا أن يذهب المثقفين وراء الشباب إلى عوالم الســوشــيال ميديا باحثين عن جمهور يســترضــونه مســتخدمين نفس الأدوات التي أخرجتهم من مشــهد ثورة ٢٥ يناير– ٣٠ يونيو، يحدثونهم عن

ثقافات إنتهى عمرها الإفتراضى لم تطور نفسها لتساير العصر مستخدمين اقصى درجات الإقصاء للآخر على أمل الإستمراريه وإرضاء جمهور يريدهم على الأرض بأدوات العصر وليس بأدوات العصر بأوهام الماضى

**

الثقافه المصرية أصبحت متكلسه لا تقوى على مواجهة ظهور مفاجئ لبجعة سوداء مرة أخرى حتى وإن كانت تلك البجعه حاجه ملحه وضروريه، فقد تراجع التعليم وجودته وأصبحت كلمة ثقافه كلمه منبوذة وعنوانا لشخص متعالى كمن ينظر للناس من فوق بناية عاليه يريدهم أن يصعدوا إليه دونما أن يعلمهم الوسيله لكيفية الصعود إلى أعلى. ولهذا أصبح لزاما على المثقفين المصريين الحقيقيين أن ينزلوا إلى الشارع لإنتشال ما تبقى من قوة مصر الناعمه ويطوروها بعيدا عن التخوين والتبرير المقابل، وبعيدا عن فكرة الموالاة والسلطه وأن ترجع الثقافه المصرين إلى نهرها الجارى المتصل يتحاورعلى جانبى شاطئه الجميع

**

على المثقفين المصريين أن لا ينتظروا حدثا ضخما كبيرا لينتشلهم من على قارعة الطريق فهم قد أثبتوا أنهم ليسوا على مستوى الأحداث في مصر والعالم، وعليهم أن يرجعوا لبدايات الثقافه في مصر ليتعلموا كيفية قوبل الآخر أولا ثم يبدأوا من حيث إنتهى الأخرون

# أزمة المثقفين والحوار الوطني !!
# إعادة تدوير للماضي !!

أين المثقفين؟ سؤال يشغل الشارع المصرى منذ قيام ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وما تلاها في ٣٠ يونيو٢٠١٣ وهو سؤال تزداد الحاجه إلى إجابته يوما بعد يوم، خصوصا وأن معظم المثقفين ثوريتهم سماعيه لم يشاركوا في صنع ثورة ملهمه قبل ذلك بل تفاجئوا كما تفاجئ الجميع بأن الثورة جاءت من شباب ثارعلى أوضاع عفنه وأراد تغييرها، بل نستطيع أن نقول أن معظمهم تم صناعتهم في أزمنه سابقه للتأكيد على شرعية النظم السابقه، وهذا بالطبع ينسحب على الغالبية العظمى منهم وليس كلهم بطبيعة الأمور.

**

عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بقيادة ضباط الجيش، حدثت أزمة ثقة كبيرة بين المثقفين وضباط الجيش على الرغم من أن المثقفين في غالبيتهم إستقبلوها بترحاب كبير ورغبة منهم في إيجاد زمن جديد، لكن بمرور السنوات زادت الفجوة وهو ما إستدعى أن يقوم الأستاذ " محمد حسنين هيكل " بكتابة أربع مقالات عن " أزمة المثقفين " في العام ١٩٦١ ( بعد مرور ثمانى سنوات على قيام الثورة ) يشرح ويحلل فيها أسباب الأزمة وشدد في البداية على " إن التلاقى والإمتزاج بين ما أسميه قوة الدفع الثورى

وبين ما يسـمونه المثقفين أمر حيوي لتوسـيع وتعميق مجرى العمل الثورى إندفاعا إلى إقامة المجتمع الجديد "[أ] وأسـتمر هيكل شـارحا أسـباب أزمة المثقفين والتى لخصها في ثلاثة أزمات رئيسة كالتالى:

" قامت الأزمة الأولى حول المطالبة بعودة الجيش لثكناته في أعقاب تصدية لتنفيذ ثورة ٢٣ يوليو،

وقامت الأزمة الثانية حول المطالبة بعودة الحياة النيابية وبعودة الأحزاب السـياسـية بإعتبار أن ذلك في رأى المطالبين به هو اسـاس الديموقراطية وصورتها التي لا تتغير. وقامت الأزمة الثالثة حول ما أسموه في ذلك الوقت بالمفاضـلة بين أهل الثقة وأهل الخبرة وتركزت هذة الأزمة في الواقع حول تعيين بعض العسـكريين في عدد من الشـركات والهيئات والمؤسـسـات وفى وظائف يبدو أنها فنية بحتة لا تحتمل غير المتخصصين في أعمالها "

لكنه فجأة يشـن هجوما خاطفا على المثقفين قائلا " في هذا كله أين كان المثقفون، وأين كان دورهم الطليعى في قيادة الجماهير، بعضـهم بإرتباطاته الطبقية كان يقف في الصـف المعادى للجماهير، والبعض الأخر بحكم إيثار العالفية على الأقل كان يقنع بالإنزواء ويباشـر رعايته لمصـالحه الشـخصـية من غير تعرض غير مأمون العواقب لمجرى الأحداث "

وعلى الرغم من أن الأسـتاذ " هيكل " لم يكن الأول الذي تحدث عن أزمة المثقفين فقد سـبقه إلى ذلك الأسـتاذ " أحمد بهاء الدين " والأسـتاذ " لطفى

الخولى" وغيرهم إلا أن مقال " هيكل " الأول حول الأزمة قوبل برد فعل هجومى عليه مما دعاه لكتابة ثلاث مقالات أخرى شارحه لموقفه، عاتبا على المثقفين موقفهم الغير واضح من ثورة ٢٣ يوليو ورغبتهم في التغيير بضمانات من الجيش دون أى تضحية منهم قائلا " فإن الثورة ليست عملا يمارس تحت ظل الأمان والضمان، إنما الثورة إندفاع إلى التضحية بدافع الإيمان "

وعاب عليهم عدم إدراكهم للحظة التغيير قائلا " أفدح منه في تصورى خطأ المثقفين، الذين لم يدركوا حتى الأن أن التغيير المحتم الذي لا مفر منه، ليس هو مجرد تغيير رأس الدولة وإنما بداية تغيير المجتمع من أساسه " ومضى يقول " ومضى هؤلاء وهؤلاء ينتظرون الأيام لعل الأيام تأتى معها بجديد، وراحوا في تبرير الإنتظار يصورون لأنفسهم أنهم قليلى الحيلة على أية حال في مواجهة القوة القاهرة"

ثم يأتى إلى لب مطلبه من المثقفين بإعتباره متحدثا بإسم السلطة وشارحا لمفهوم " الوعى" الذي تحدث عنه الرئيس " جمال عبدالناصر" قائلا " ولقد كان الدور الطبيعى الواجب للمثقفين، ليس مجرد أن يتعاونوا مع الثورة، وإنما أن يتفاعلوا مع الثورة وأن يتبنوا قضيتها، أن يأخذوها، أن يعطوها من فكرهم نظريتها الوطنية، أن يصوغوا من أعماق ضميرهم وعلمهم عقيدتها الثورية أى طريقها إلى التغيير الأساسى والجذرى للمجتمع المصرى "

لم تكن ١٩٦١ سنه عادية، فلم تكن الذكرى الثامنه لقيام الثورة، ولا الذكرى السادسة لأزمة مارس ١٩٥٤ الديموقراطية، ولا هى بالطبع سنة أزمة المثقفين، ولكنها كانت تمثل حدثا فريدا من نوعه في مصر الحديثة، حيث إجتماعات اللجنة التحضيرية " للمؤتمر الوطنى" حيث المناقشات بشأن طبيعة نظام الحكم، وبناء شرعية جديدة، وكذلك الشكل الإقتصادى للبلاد، وقد شارك في فعالياته كل الأطياف السياسية فيما عدا " أعداء الشعب ".

وقد إنتهى هذا المؤتمر بعد الأخذ بالمناقشات والتعديلات من خلال اللجان النوعية والقواعد الجماهيرية، إلى إقرار " ميثاق العمل الوطنى " في ٣٠ يونيو ١٩٦٢، كوثيقة إسترشادية لطبيعة عمل الدولة خلال عشر سنوات وقد فسر الرئيس " عبد الناصر" ذلك قائلا " بنعمل محاولة... بنقدم مشروع للميثاق الوطنى بيبقى دليلنا للعمل، بعد كده كل سنه بنغير، لأن النظرية أو ميثاق العمل الوطنى لن يكون إلا نتيجة لدراسة مشاكل المجتمع " _ كتاب نداء الشعب تاريخ نقدى للأيدولوجيا الناصرية _

وكان الملفت هو تأطير أوإدماج المثقفين داخل صلب الدولة الجديدة، وقد إنقسموا لقسمين، الأول سارع بالإندماج لطبيعته المتعلقه بسلطة الحكم أيا ما كان الحاكم كما كان قبل ثورة ٢٣ يوليو، والثانى إنضم بعدما تيقن من صدق النوايا أو أن التجربة مع النظام الجديد إن لم تفيد فهى لن تضر حتما.

وأصبح المثقفين السلبيين كما هم، آثروا السلامه كما في كل عهد خوفا من

دفع فواتير لا يقدرون عليها.

**

بعد قيام ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وما تلاها في ٣٠ يونيو ٢٠١٣، قد بدا واضحا أننا نعانى من أزمة مثقفين متجددة، وأن الثورة فاجأتهم كما فاجأتهم حركة الجيش ١٩٥٢، فهم لم يستطيعوا ملئ الفراغ بين السلطة والجماهير، ولم يبشروا بثورة ولا أعدوا لها، وأنهم في غالبيتهم لم يخرجوا عن الثلاث فئات التي ذكرها " محمد حسنين هيكل " في مقالات " ازمة المثقفين "، حيث فئة مع سلطة الحكم تحافظ على مكتسباتها الطبقية والوظيفية، وفئة مارست الفعل الحزبى دفاعا عن مكاسب حزبيه، وفئة ثالثة آثرت البعد عن السياسة وتفضيل العمل في القطاعين العام والخاص من أجل سلامتها لما في العمل العام من مشاكل سياسية وأمنية.

لهذا جاءت سنة ٢٠٢٢، لتعيد تدوير ما حدث في العام ١٩٦١ بنفس أحداثها، حيث أزمة مثقفين طاحنه يعيدون نفس مطالبهم القديمة، حيث مسألة تحكم الجيش في مفاصل الدولة، وتنظيم جديد للعملية السياسية والحزبية وفتح المجال للكفاءات بعيدا عن أهل الثقة، وتصطدمهم إجابة " هيكل "، " أين كان المثقفون، وأين كان دورهم الطليعى في قيادة الجماهير" وأن من ملئ الفراغ السياسى بين السلطه السياسية والجماهير هو الجيش.

وكذلك دعوة رأس السلطه الرئيس " السيسى " لـ " حوار وطنى " للبحث

في شكل الدولة أو الجمهورية الجديدة إقتصاديا وسياسيا وإجتماعيا، كما فعل الرئيس " عبد الناصر" سابقا. ولكن مشاركة المثقفين تبدو غير واضحة المعالم، حيث أن المثقفين المتحلقين حول السلطه كانوا بطبيعة الأمور هم الأسبق للمشاركه في الحوار الوطنى، وأن المثقفين خارج هذا الحوار كما في السابق ينتظرون وسوف ينتظرون كما في السابق، لأنهم لم يدركوا أن الذي يحدث الأن فيه مفاصله تامه عما سبق، وأن تعللهم بأن القوة القاهرة للمؤسسات الأمنية يبرر إحجامهم عن المشاركة في الحوار أو الجرأة في طرح رؤاهم الخاصه، وكذلك يعولوا على أن النظام سيعطى لهم ضمانات للعمل وفق نظرتهم للأمور.

لهذا لم تدع الحوادث ولا طبيعة المثقف المصري أية خيارات أمام المثقفين المصريين، الذين لم يتطوروا خارج حاضنة الدولة المصرية منذ ثورة يوليو١٩٥٢_ الغالبية العظمى منهم _ ولم يعد لديهم إلا خياران وحيدان، الأول وهو الإندماج داخل الدولة وفق مخرجات " الحوار الوطنى " كما حدث مع مخرجات " المؤتمر الوطنى " سابقا، الثانى الحديث عن عمل وطنى موازى لفكر الدولة الجديدة تكون نتيجته الوصول لحالة جديدة ولكن هذا الخيار الثانى يصطدم بطبيعة المثقف المصرى طوال السنوات السابقة التي تفضل إعادة تدوير الماضى على التفكير في المستقبل وتبعاته، ما يتبع ذلك من تعلق نظره بالسلطه دائما يراقب حركتها وإيماءاتها وساعتها يحدد حركته الخاصه.

يبدو أننا نعيش مرحلة مهمة، ليس لإن هناك جديد ولكن لأننا نشـــهد أكبر عملية إعادة تدوير للأفكار بنفس آليات العمل، وللمصـــادفة البحته بنفس أطراف الصـــراع وإن تغيرت الأســـماء، الســـلطه التي تمســـك بزمام الأمور والتى ملئت فراغ السياسة، والمثقفين، والأحزاب السياسة، وكذلك إستبعاد " أعداء الوطن "،

لهذا إذا كان المثقفون المصـــريون يريدون أن يلحقوا بالمســـتقبل فعليهم بلورة رؤية واضـــحة لشـــكل العلاقة داخل البلاد بين الســـلطة والجماهير تعبرعن الأمال والطموحات وشـــكل المســـتقبل الذي نريده، وعليهم أن يتركوا ســـاحات الســـوشـــيال ميديا ويلتحموا بالجماهير، ولا تتعلق آمالهم بضمانات تعطيها لهم السلطه.

وحتى يتحقق ذلك ســـتظل أزمة المثقفين المصـــريين " كلاكيت تانى مرة " وحتى إشعارا آخر

❋ ❋ ❋

# هيكل .. بين أرشميدس والفرعون والمعبد

بعد بضـعة أيام تحل علينا الذكرى الثالثه لرحيل الكاتب المصـرى الكبير " محمد حسـنين هيكل " عملاق الصـحافه الحائز على لقب " الأسـتاذ " بجداره وإسـتحقاق، وهو اللقب الذي لم يسـتحقه بعده أحدا ممن تمنوا رحيله من على منصة الأهرام، وكثر ممن حاولوا تقليده في الوسط الصحفى، الجميع رسـبوا في إختبار الأسـتاذيه التي تعتبر في " الحاله الهيكليه " حاله فريده لا يمكن فهمها من مجرد البحث حول القدره الصـحفيه والموهبه الفذه للأستاذ هيكل، وإنما يستدعى ذلك فك طلاسم الشخصيه المصرية المحفوره على جدران المعابد.

هيكل، كثر من تكلموا حوله إما مدحا أو قدحا، وتعرضـوا لموهبته التي لم يختلف عليها أبدا ولكن الخلاف تمحور في الشـق الأكبر منه حول الخلاف السـياسـى والأيديولوجى، وعلى الرغم من إشـتداد حدة الهجوم عليه في معظم الحالات داخليا وخارجيا إلا أنه نادرا ما يرد على هذا الهجوم واصفا المهاجمين له بأنهم " أصـحاب السـاحات الفارغه " وهو بذلك قد أضـاف لشـخصـيته بعدا جديدا يضـاف إلى عبقرية الصـمود وسـط العواصـف فهو يدرك قانون الطفو الذي يقول " بأن وزن الجسـم المغمور كليا أو جزئيا في سائل لا يذوب فيه فإن السائل يدفع الجسم بقوه للطفو وهذه القوه تساوى وزن السـائل الذي يزيحه الجسـم "، إنها قاعدة أرشـميدس التي أتقن فهم

قانونها فجعل من موهبته وعبقريته الثقل الذي لا يذوب في السوائل وكلما أرادوا أن يغرقوه كان قادرا على إزاحه الكثير منهم سكبا على أرضية الأوهام.

لكن لا يمكن فهم قانون الطفو في شخصيه " هيكل " إلا إذا عرفنا أن الموهبه وحدها ليست كفيله بأن تجعله يطفو إلا إذا إستطاع أن يكون قريبا من قصر الفرعون متفاديا الصدام مع كهنة المعبد، فهيكل قارئ ممتاز للتاريخ وقادرا على إستيعاب ما يسمعه وينفذه بدقه، فبعد بدايه ناجحه في عالم الصحافه وذاعت موهبته إلا أنه وجد من يهمس في أذنه " الأستاذ محمد التابعى " ويقول له " السياسة تصنع في القصور " لافتا نظره إلى أن الموهبه وحدها ليست كافيه لصعوده إلى آفاق عاليه، وبما أنه يدرك مكنون الشخصيه المصرية فقد إتجه مباشرة إلى القصور يسمع ويتعلم ويصيغ بموهبته كل ما يسمع، ولم يضيع وقتا في تملق القصور من بعيد على أمل أن يلتفت إليه أحدا في شرفة أحد القصور، وهو ما أوصله في النهايه إلى ساكن القصر الكبير وأصبح متربعا فيه بلا منازع، ولكن هذا لم يكن بالأمر السهل فالقرب من الفرعون ليس عملا ممتعا ولا شيقا في معظم الحالات حيث أن هناك كهنه للمعبد لا يحبذون أن يقترب احدا أكثر من اللازم من الفرعون.

فهو كان يدرك أن فهم طبيعة الحكم في مصر لا يحتاج إلا محاولات وتجارب كثيره، فهى لم تتغير منذ أول بناء سياسى في التاريخ على ضفاف

النيل، فالحكم في مصر لم تتغير طبيعة بناءه منذ العصور الغابره حتى اللحظه الآنيه فهو يتمحور حول قصـــر الفرعون كبدايه للأحداث ونهايتها، وبين المعبد وكهنته الذين وجدوا في قصـر الفرعون سـر بقاءهم، وعلى الرغم من تغير شـــكل المعبد وكهنته وتوزعها على فكرة مراكز القوى في كل زمن إلا أنها أبقت على قصـر الفرعون كشـخصـيه حاكمه ضـامنه لإسـتمرار الوجود، وهذا ما جعل هيكل يستميت في المكوث في قصـر الفرعون لأطول الفترات حتى يضـمن لموهبته تجذرا كبيرا، ولكن هذا ظل صـامدا في قصـر الفرعون في عصـــر الرئيس عبد الناصـــر، ولكنه كان قد أغضـــب كثيرا من كهنة المعبد الذين كانوا يتحينون الفرصـــه للإنقضـــاض عليه في مشـــهد تاريخى مكرر في الحاله المصـــرية، وهو ما بدا ســـهل المنال مع رحيل عبد الناصـــر، ولكنه ســـرعان ما وجد في ســـاكن القصـــر الجديد الرئيس الســـادات حاميا له بل وتخلصـــا من كهنه المعبد في العصـــر الســـابق، وظن هيكل أنه بمأمن داخل جدران القصـــر ومع فرعونه الجديد لكنه لم يدرك قانون البقاء بالقرب من أعلى الســـلطه وظن أنه ســـيســـتطيع أن يســـيطر عليه كما فعل الكاردينال الفرنسى " ريشيليو " الذي سيطر على القصر والدولة تحت مظلة " لويس الثالث عشر " ملك ضـعيف يتحكم فيه، وسـرعان ما جاء خروجه من قصـر الفرعون بل وتم تجريده من ســـلطته بين جدران جريدة الأهرام، وكما فرح الشـــعب الفرنســـى برحيل " ريشـــيليو " بالوفاة، فرح كهنة المعبد الجدد المتحلقين حول الفرعون ســـاكن القصـــر الجـديـد وارادوا قتلـه معنويـا

والتشكيك في موهبته، ولكنه لم يعبأ بذلك على الرغم من زجه في أقبية السجون إلا أنه موهبته الصحفيه جعلته طافيا فهو لم يعد ذاك الشاب الطموح الذي يرنوا ببصره ناحية قصر الفرعون متحاشيا كهنة المعبد، فقد ثقلت موهبته وأصبحت رقما صعبا وأصبح قلمه مزعجا وقلقا ليس للكهنه فقط بل لقصر الفرعون ذاته في بعض الأحيان إلا أنه لم يقطع الصله فهو يدرك أن صحفى بدون معلومه موثقه فلن يعدوا حديثه إلا مجرد رأى لن يجد له صدى مؤثر.

وبعد أن إندلعت ثورة ٢٥ يناير وجدنا " هيكل " وقد بلغ من العمر عتيا يبعث من جديد وكأنه طائر الفينيق الأسطورى وجلس الشباب أمامه يسمعون منه قبل الشيوخ، بل تعدى ذلك أن تم إستدعاءه لقصر الفرعون الجديد وكأنه إعتذار تاريخى على خلفيه نزاع أيديولجى بينه وبين ساكن القصر الجديد من الأخوان المسلمين، ولكنه كان يدرك أن ساكن القصر الجديد لديه كهنته وأنه ليس لديه من السنوات الكافيه ما يجعله طامحا لوجود بداخل قصر يرفضه، وأنه كان يدرك أن الزمن ليس في صالحه وكان يصف نفسه " بكراكيب زمنيه " لهذا ما أن سكن القصر فرعون جديد بعد ٣٠ يونيو حتى راح يكتفى بتوجيه النصائح فقط. وكان هذا تكريما يليق بموهبه تعدت حدود الزمن وحدود الصلاحيه، موهبه أدركت قانون البقاء داخل جدران الشخصيه المصرية فحفر إسمه يوم وفاته على جدران المعابد كأحد مواهب مصر العظيمه حاملا لقب " الأستاذ " بلا منافس حيا وميتا

هيكل حاله مصرية خالصه لا يجوز فهمها إلا في إطار الشخصيه المصرية المبدعه وعلاقتها بقصر الفرعون وكهنه المعبد، وعلى الرغم من رحيله سيظل باقيا حيا لفترات أخرى طويله لخلو الساحه المصرية من موهبه مثيله له، موهبه تدرك أن الإبداع وحده فقط في مصر ليس حلا نهائيا للديمومه وحفر الإسم على جدران المعابد.

❊ ❊ ❊

# المواطن والفرخة.. جدلية الحياة في مصر

إحتل الحيوان في حياة الإنسان المصرى مكانه خاصه فمنذ أن مارس فعل الإعتقاد الدينى كان الحيوان حاضرا برمزيته كشكل من أشكال الإشاره لطبيعة ذلك الإعتقاد!! وقد تم رصد أربعة عشر حيوانا قدسهم المصريين قديما في العهد الفرعونى، لكن وعلى الرغم من إنتهاء علاقة الإعتقاد بالرمزيه الحيوانيه مع ظهور المسيحيه ومن بعدها الإسلام إلا أن علاقة المصرى بالحيوان علاقه ملتبسه نستطيع من خلالها فهم بعض الظواهر الإجتماعيه بسهوله.

أربعة عشر حيوانا مقدسا ترى لهم نقوشا على جدران المعابد، لبؤة أسد، ثعبان، نسر، فرس النهر وأخرين جميعهم يعبرون عن شخصيه تواقه إلى القداسه والسمو والقوة، ولكن لم يكن بين تلك الحيوانات الدجاجه حيث ينظر المصرى إليها على أنها هشه القوام لا تصلح أن يتخذها رمزا لأى شئ حتى بات يطلق على وضعية المرأة المصرية بجملة " فرخه مكسورة الجناح " في إشاره إلى أنها ليست مثل الرجل المحلق في السماء كنسر حورس، ولكن مع مرور الأيام والسنوات إحتلت الدجاجه أو الفرخه مكانتها التي تليق داخل المجتمع حيث حفرت لنفسها في الذاكرة المصرية أخاديد لن تندمل بسهوله.

فالساسه والنخبه المصرية على طرفى الصراع السياسى والمجتمعى كثيرا ما

يستخدمون مصطلح " الإنسان المدجن " لوصف بعضهم البعض بالضعف والإستكانه أمام سلطة الحكم، ومع ذلك يتواضع ويتضاءل هذا المصطلح أمام سـطوة الفرخه على حياة المواطنين المصـريين اليوميه، فباتت تلك الفرخه بحجمها الصغير والهش البنيه مقياسا لحياة المصريين اليوميه، إلى الدرجه التي يجب حفر صورتها على معابد الفراعنه لرد إعتبارها التاريخى.

على الرغم من الست المصـرية تقوم منذ الأزل بتربيه الفراخ في البيت لسد فجوة البروتين الحيوانى بسـبب عدم شـيوع أكل اللحم حيث كان الفراخ للغلابه واللحم للأغنياء، ومع تطور المجتمع وظهور النمط الطبقى في مصر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ وبدأ يطرأ تغير على نمط الإسـتهلاك الحيوانى فظهر اللحم على موائد الفقراء الذين إلتحقوا بالطبقة المتوسـطه الوليدة بجانب الفراخ التي ما زالت تربى على أسـطح المنازل في المدينه والريف على حدا سـواء. ومع بداية الإصـلاح الإقتصـادى في منتصـف السـبعينيات من القرن العشرين على يد الرئيس السادات ظهرت الفراخ كعنوان لمرحلة من الفساد الإقتصـادى فقد تم إسـتيراد آلاف الأطنان من الفراخ الفاسـده مما جعل المواطن يشك في جدوى إصلاح إقتصادى فاسد يطال آخر حصون البروتين الحيوانى له، وجعله يتشـكك في كل ماهو داجنى لا يذبح أمام عينيه في محل " الفرارجى ".

ولـم تسـتطع الفرخه المجمده سيئة السـمعه أن تزيح الفرخه المصـرية الحيه

من علياءها وأستمر المواطن ينظر لها بعين الريبه حتى ظهر نوع جديد مهجن سريع النمو ليواكب طلبات الإستهلاك السريعه والمتناميه أطلق عليه شعبيا " الفراخ البيضا "، وتربع النوع الجديد على عرش الإستهلاك وبرخص ثمنه النسبى في مقابل سعر اللحوم أصبح وجبه تأكل يوميا بوصفات طبخ مختلفه، وأستمر هذا الوضع تقريبا حتى ما يقارب نهاية عهد مبارك والذى ما أن شارف عهده على الزوال حتى بات حلم أكل فرخه يوميا يتضاءل أمام زيادة الأسعار وبوادر أزمه إقتصاديه أدت في النهايه إلى قيام ثورة ٢٥ يناير المجيده.

ولكن بعد ثورة ٢٥ يناير تدهور الوضع الإقتصادى سريعا حتى أصبحت الفراخ يتضاءل عددها على موائد غالبية الأسر المصرية، وأصبح وجود فرخه كامله في الأسبوع الواحد مرتين أو ثلاثه حلم، وأزداد الأمر سوءا إلى أن ظهرت أنماط تقاوم السقوط الإجتماعى من قبل طبقه متوسطه تحاول أن لا تنزلق إلى أسفل وتستقر بجانب الفقراء والمعدمين، تلك الأنماط الإستهلاكيه إعتمدت على تفكيك الفرخه إلى قطع منفصله حتى تستطيع الشراء فكانت الصدور " الفيليه "، والوراك والأجنحه تباع منفصله كغذاء وكانت الرأس والأرجل تباع للكلاب والقطط إلى أن حدث تعويم الجنيه مقابل الدولار وأزداد الأمر سوءا إقتصاديا وأرتفعت الأسعار فإزداد إنزلاق المواطنين إلى طبقة الفقراء وهو ما جعل أرجل ورؤوس وأحشاء وأجنحه وهياكل الفراخ تباع كطعام بعدما إستحال الوضع الإقتصادى.

وعلى الرغم من ضخ الدولة كميات ضخمه من الفراخ المجمده المستورده إلا أنها إصطدمت بعلاقه شبه مقدسه بين مواطن يشك في مشروعية الفرخه المستورده ويريدها مذبوحه أمامه بعدما فقد الثقه في الرقابه على غذاءه، وبين إحتياجه إلى مشتملات الفرخه المقطعه من أرجل وأجنحه ورأس لا توفرها تلك المستورده التي تريد مبلغا من المال لا يتوافر في يده كل مره.

الفرخه طائر هش ولكنه عبر عن حالة المواطن المصرى بكل صدق إلى الدرجه التي أطالب بوضعه على العمله المصرية تخليدا له، فيكفى أن تمشى في مدن وريف مصر لتجد أن أكثر المحلات هى من تتعامل بيعا وذبحا وشويا مع ذاك الطائر حتى أنه أصبح الوسيله التي تربط المواطن المصرى بأخيه السورى اللاجئ عنده الذي إفتتح مشويات فراخ رخيصة الثمن نسبيا جعلت المصرى يتهافت إليه.

وإلى أن تتحسن الأحوال المعيشيه في مصر ستظل الفرخه هى عنوان المرحله التاريخيه التي نعيشها.

❊ ❊ ❊

# ولاد الناس؛ كوميديا سوداء مصرية

إن أكثر الفترات التاريخيه التي أثرت ولا زال لها تاثيرا كبيرا حتى الأن في مصر، هى الفتره التاريخيه التي حكم فيها المماليك حكم مصر فقد حكموا مصر على مرحلتين المرحله الأولى والتى حكموا فيها حكما مطلقا وهو ما أستمر لـــ ٢٦٧ عاما متصلا، والفتره الثانيه والتى بلغت ٣٢٣ عاما وهذا تحت الحكم العثمانى الذي ترك لهم الحكم الداخلى لمصر لهم حتى تم القضاء عليهم مع تولى محمد على باشا حكم مصر الذي أنهى الحكم المملوكى للأبد وأستقل إسميا بمصرعن الدولة العثمانيه، ولكن مع إنتهاء الحقبه السياسيه المملوكيه فلم ينتهى أثرهم الإجتماعى الذي تجذر في الوجدان المصرى، وتستطيع أن تلمح أثرهم بين جنبات الحياة المصرية ولعلك عزيزى القارئ سمعت جملا من نوعية " دا راجل متربى وإبن ناس!! "، " دا عينه مليانه وإبن ناس صحيح "، تتكرر مرارا على ألسنه الناس في الشوارع وفى المناسبات المختلفه،

أتعلم أن هذا تراث إجتماعى مملوكى ولكنه رغم تحور مصطلح " ابن الناس " بفعل الحراك الإجتماعى المصري بعد أكثر من ٢٠٠ عام من زوال أثر حكم المماليك إلا أن الأثر السلبى لا زال ظاهرا على الحياه الإجتماعيه المصرية الأن!!!

من المعروف أن المماليك هم عبيد جلبوا صغارا إلى مصر من قبل صلاح

الدين الأيوبى ليتربوا على الحرب ويكونوا عونا لأسيادهم الجدد في الحرب على أعدائهم، وما أن شـارفت الدولة الأيوبيه على النهايه كانت قد تكونت طبقه من الحكام الجدد ولكن من بين هؤلاء العبيد الذين أصـبحوا أمراء حرب بفعل القوه المسـلحه التي أصـبحوا يمتازوا بها، حتى حانت اللحظه التي ورثوا فيها الحكم وأصـبحوا هم الحكام الجدد وقامت دولتهم التي عرفت بـ " دولة المماليك "، وعلى الرغم من أنهم في الأصل عبيد وحكموا بالقوه العسـكريه إلا أنه كان لهم نظام إجتماعى خاص حيث كانوا ينظرون إلى جموع المصـريين بنظرة دونيه جعلتهم ينعزلون في قلاعهم وضـياعهم ولا يختلطون ولا يتزوجون من المصـريين وأسـتمر هذا الأمر لفتره طويله حتى جاء اليوم الذي سـمح فيه أحد السـلاطين بأن يتزوج المماليك من المصـريين وهو الأمر الذي نتج عنه ذريه جديده ولكن كان ينظر إلى تلك الذريه بنظره دونيه وأنهم أقل من المماليك الأصـليين – العبيد – الغير مختلطين بدم المصـريين، ولا يسـمح لهم بالإنضـمام إلى الجنديه وتولى المناصـب لفتره طويله، ولما خاف الأمراء المماليك على أبناءهم من زوجاتهم المصـريين من مكوثهم في البيت وأن تتولى أمور تربيتهم النسـاء والجوارى فقد تم تجميعهم وتعليمهم فنون الفروسـيه والأدب والفنون وطرق الإنتساب إلى الطبقه الحاكمه، وتم رصد إقطاعيات وضياع لينفقوا منها، ونشأت طبقه جديده وصلت طبقة الحكم بالشعب وطبقاته الدنيا من التجار والأعيان وبقيه سـكان القاهره وتقريبا ظهر منها كل مؤرخى العصـر

المملوكى وبجانب ذلك ظهر فسادهم نتيجة التدليل نتيجة عدم عملهم والإعتماد على عطايا الدولة، وهو ما أدى في نهاية العصر المملوكى بالسلطان قنصوه الغورى بأن يقطع عنهم مميزاتهم مما جعل بعضهم يتسول بعد عز وهنا تغير المصطلح في نظر العامه المصريين من مصطلح مملوكى إلى مصطلح إجتماعى دارج حيث أصبح من تتدهور به الأحوال من عز إلى فقر يطلق عليه " إبن ناس " وأستمر هذا المعنى تقريبا طوال العصر العثمانى.

وعلى الرغم من إنتهاء طبقه ولاد الناس مع حكم العثمانين لمصر ولكن مع تولى محمد على باشا حكم مصر وإدخاله تعديلات إقتصاديه وسياسيه وإجتماعيه مهمه غيرت وجه مصر ظهرت عائلات إجتماعيه وطبقه جديده في المجتمع فظهر مصطلح " ولاد الأصول " كإعادة إستنساخ وتحور لمصطلح " ولاد الناس " فقد أرادت تلك العائلات الجديده أن توجد لها أصولا متجذره في عمق التاريخ وهذا من الأوهام التي صدرت لأجيال قادمه، حتى أن الملك فاروق حينما عارض زواج أخته من إبن شاه إيران في البدايه كان من بين إعتراضاته أن عائله شاه إيران رضا بهلوى ليست لها " أصول "

ومع قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ فقد تم القضاء على النظام الإجتماعى والسياسى الممتد بجذوره للقرون الوسطى، وظهرت طبقات النخبه

المتعدده، نخبة الحكم ونخبه المال ونخبه المثقفين.... إلخ، لكنها لم تقضى على الأثر الإجتماعى الممتد من الزمن المملوكى فعلى الرغم من سحب جموع المصريين مصطلحى " ولاد الناس " و" ولاد الأصول " للدلاله على حسن الأدب والإحترام والتدين وما إلى ذلك من الصفات المحموده للتميز بينهم إلا أن الفتره الممتده من نهاية حكم الرئيس السادات وحتى الأن شهدت تطورات إقتصاديه وإجتماعيه جعلت المجتمع ينقسم بشده وظهرالتمايز الطبقى بأشكال متعدده منها الإنعزال السكنى في منتجعات، وركوب السيارات الفارهه، ولكن الأخطر من ذلك هو تحول مجتمع النخبه المتعدده إلى مجتمعات تريد أن تتميز وأصبح أبناء الفلاحين يقلدون أبناء المماليك القدامى وجعلوا لأبناءهم مجتمعا خاصا تتوفر لهم فيه كل أشكال الرفاهيه، وأصبحت مسألة التزاوج بين الطبقات الجديده من مجتمع النخبه الشبيهه بمجتمع النخبه المملوكيه مسأله حتميه لضمان التواجد الدائم في دائرة الطبقه الحاكمه إقتصاديا وسياسيا وإجتماعيا، وأصبح لدى الشعب المصرى المتشبع بالثقافه المملوكيه مصطلح يستخدم في إتجاهين منفصلين، إتجاه شعبى يرضى بالحدود الدنيا من مصطلح " ولاد الناس " و" ولاد الأصول " وحصرهما على الصفات المحموده إجتماعيا، وإتجاه طبقى يتشبث بتراث العبيد المماليك ويريد تميزا طبقيا على أساس أوهام تأسيس " أصوليه عائليه " يعلم جيدا أنها لن تتحرك في عمق التاريخ أكثر من سنوات معدوده.

مصـــر تعيش كوميديا ســـوداء تلخص علاقه ملتبســـه بين طبقات إجتماعيه منفصله عن بعضها في تباين لا تخطأه العين وفى الوقت نفسه الجميع متعلق ومتشـــبث بترديد مصـــطلح العبيد المماليك " ولاد الناس "، الغنى يريده تمييزا له ولأولاده طبقيا، والفقير يســـتخدمه لعل وعســـى تتغير الأحوال ويتحول إلى غنى وســاعتها يســحب المصـــطلح معه ويجذره ويصـــبح إبن اصول.

❊ ❊ ❊

# الكارنيه.. جواز مرور اجتماعي مصري

مشـهد الفنان المصـرى عادل إمام في مسـرحيته الشـهيره " شـاهد مشـافش حاجه " وهو يحكى موقف له في الأتوبيس عن رجال البوليس – الشـرطه – وعن أنهم يحملون كارنيهات مجانيه تتيح لهم ركوب المواصـلات العامه مجانا ولما حاول أن يذكر كمسـرى الأتوبيس بأنه بوليس فما كان من الكمسـرى إلا أن طلب منه تحقيق الشـخصـيه وما أن عرف أنه ليس منتميا للبوليس حتى بدأ في ضـربه وتفاعل كل الركاب في ضـربه، وعلى الرغم من ضحك المشاهدين على رواية هذا الموقف الكوميدى إلا أنه مشهد كاشف لتطور الحياة الإجتماعيه في مصر

مصـر يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كانت على موعد تاريخى أنقذها من سياسـات إقتصـاديه وإجتماعيه ممتده منذ القرون الوسـطى، وبداية لتحول إجتماعى ضخم عرف لاحقا بالطبقه المتوسطه الجديده والتى تختلف كليا عن الطبقه المتوسـطه أو شـبه المتوسـطه في العهد الملكى، وقد قامت تلك الطبقه وتنامت من رحم التغيرات الكبرى التي صـاحبت حركة التحديث في خمسـينيات وسـتينيات القرن العشـرين، وقد رأت الدولة في ظل هذه التطورات أن تحمى قطاعات معينه من موظفيها من الإنحراف والفسـاد فعملت على أن تعطى لهم مميزات إقتصـاديه تسـاعدهم على الحياة الإجتماعيه الكريمه فكانت أن جعلت من رجال أجهزة الأمن من الجيش

والشرطه والقضاء يحملون كارنيهات – بطاقات هويه – مجانيه يركبون بها المواصلات العامه، أما بقية موظفي الدولة فلقد رؤى أن يحصلوا على تخفيضات على سعر الركوب إذا قاموا بعمل إشتراكات سنويه، وأستمر هذا الوضع طيلة سنوات الخمسينات والستينات وحتى منتصف سبعينيات القرن العشرين معيارا لنزاهة رجال الدولة وتمييزا إجتماعيا نظرا لما يبذلونه من جهد لصالح الدولة، ولكن مع دخول مصر مرحلة الإنفتاح في سبعينيات القرن العشرين والذى أتاح فرصه لطبقات إجتماعيه أن تثرى بطرق ملتويه وفاسده أن توجد نمط إجتماعى بشر بتضاؤل زمن الكارنيه وأصبح التطلع لنمط الثراء السريع حلما لكثير من موظفى الدولة الذي أفلت بعضهم بفعل الفساد وتبرأ من حمل الكارنيه، ولكن ظلت الغالبيه الكاسحه تحمل الكارنيهات وسط أزمه إقتصاديه خانقه إستمرت حتى نهاية ثمانينيات القرن العشرين ومع بدايات فترة التسعينيات بدأ نظام الرئيس السابق مبارك يتبنى سياسات إقتصاديه جديده للتحول من النظام الإشتراكى إلى النظام الرأسمالى عرفت " بسياسة الخصخصه " السيئة السمعه، ولكن مع الإنفراجه الأولى لتلك السياسة حدث أن تراجع مفهوم حمل الكارنيه مقابل شيوع حاله من الرخاء الإقتصادى وأصبحت فكرة إظهار الكارنيه في المواصلات نوع من الإقرار بفقر حامله وهو ما جعل أصحاب الكارنيهات يتوارون بها خصوصا مع بداية ظهور نوع جديد من الكارنيهات وهى بطاقات الدفع البنكيه في يد قطاعات واسعه من المواطنين وأصبح ركوب

المواصــلات الخـاصـــه نوع من الوجـاهـه الإجتمـاعيـه وتعبيرا عن تغير إجتماعى، كل هذا مواكبا لإتســاع طبقة الأثرياء في المجتمع خصــوصــا مع تنامى رائحة الفساد الناتجه عن سياسات الخصخصه.

وأســتمر إنحصــــار التمايز الطبقى لحملة الكارنيهات مع تنامى الطبقات الإجتماعيه الثريه المعتمده على العمل الخاص والتى جعلت من ذكر كلمه الموظف الحكومى نوع من الإزدراء، حتى حدث التحول مع نهاية حكم مبارك وإشتداد الأزمه الإقتصاديه نتيجة سياسات الخصخصه ولأسباب إجتماعيه وإقتصــاديه فاســده خرج الكارنيه من إطار التمايز في ركوب المواصــلات العامه إلى تمايز طبقى إجتماعى يعبر عن طبقات إجتماعيه تريد أن تنســلخ بتمايزها الوظيفى وتنضــم إلى الطبقات الإجتماعيه الثريه التي بدأت تحكم المجتمع، وأصــبح مألوفا أن تجد في مصــر من يشــهر في وجهك الكارنيه الوظيفى ليعلمك بأنك اقل قدرا منه في إنعكاس لتنامى طبقات إجتماعيه أراد المشــرع قديما أن يحافظ عليها من الفســاد لصــالح المجتمع ولكن؟!!

ومع تنامى قدرة حملة الكارنيهات المميزه إجتماعيا أراد الفقراء من غير حملة الكارنيهات البحث عن متنفس مادى يتيح لهم التماهى مع قدرة أصحاب الكارنيهات في قضـاء مصـالحهم الشـخصـيه فما كان من كثير من فقراء المجتمع أن تسارعوا إلى إصدار كارنيهات الحزب الوطنى – المنحل

بعد ثورة ٢٥ يناير – من أجل إستغلال نفوذ الحزب والمنتمين له في سرعة إنجاز المعاملات داخل المصالح الحكوميه وغيرها.

ولكن ماذا تغير في حمل الكارنيه بعد قيام ثورة ٢٥ يناير وحتى الأن؟!

لم يتغير شيئا بل إزداد الوضع سوءا وأصبح حمل الكارنيه عنوانا لتنامى طبقى متمايز عن بقية المجتمع بل وربما للثراء السريع، ومفتاحا إجتماعيا لغالبيه الزيجات التي تحدث في المجتمع وأصبح حملة الكارنيهات في الماضى هم الأن طبقه إجتماعيه لا تتزوج إلى من بينها في معظم الحالات حتى لا تضيع المميزات الجديده وتساعد على إستمرارها لأجيال قادمه من أبناءهم، لهذا لا عجب أن تجد أبناء الفقراء وهم يتكالبون على وظائف حملة الكارنيه أملا في مقابل مادى كبير ووجاهه إجتماعيه تفتح الأبواب المغلقه أمامهم

وأصبحت الجمله الشهيره " الجنيه غلب الكارنيه " والتى كانت تشير إلى أن المال مقدم على حملة الكارنيه من موظفى الدولة من الماضى بعدما إقترن المال بالكارنيه كتمايز طبقى في عيون فقراء هذا الوطن إلا من رحم ربى من شرفاء هذا الزمن الغريب

❊ ❊ ❊

# النكتة السياسية.. واقع مأزوم! أم ضحكة عابرة

لم يكن تنويه الرئيس المصرى " عبد الفتاح السيسى " لحجم النكات التي أطلقها الشعب المصرى حول إحدى تصريحاته التي تناولت " الوزن الزائد " للمصريين، وكذلك أمنياته من المصريين قائلا " أرجوا إنكم تنكتوا على مهلكم شويه عليا "، إلا إشاره على مدى علاقة الشعب بالحاكم وحجم حرية التعبير في مصر. وقد يبدوا للغالبيه العظمى من الشعب المصرى أن هذا الموقف هو الأول عندما يتحدث رئيس مصرى عن النكته التي تتناول الأوضاع السياسيه والإقتصاديه وهذا ليس صحيحا، فمن المعروف أن الرئيس جمال عبد الناصر كان قد سبقه وأشتكى من حجم النكات التي أطلقها الشعب على قواته المسلحه عقب نكسة ١٩٦٧ ففى المؤتمر العام للإتحاد الإشتراكى العربى _ التنظيم السياسى الوحيد آنذاك _ قال بلغه صارمه " بطلوا نكت " لأن معنويات القوات المسلحه بعد الهزيمه كانت منهاره وكان سيل النكات لا ينتهى.

ولكن لم يسأل أحد لماذا يطلق الشعب النكات؟ ومتى يتقبلها النظام الحاكم؟ ومتى يتضايق منها؟ الإجابه على هذه التساؤلات نجدها بين دفتى كتاب " النكته السياسيه عند العرب " للعميد الركن الدكتور اللبنانى " هشام جابر " الرئيس الحالى لمركز الشرق الأوسط للدراسات والعلاقات العامه، ويعتبر هذا الكتاب دراسه شيقه ومهمه حول النكته السياسيه في الوطن

العربى والتى لا تجد لها دراسات تتحدث عنها إلا داخل أروقة المخابرات والأجهزه الأمنيه والتى تولى النكات السياسيه أهميه خاصه حيث تستخدم في " الحرب النفسيه " للهجوم على أى عدو، وفى " العمليات النفسيه " إذا كان الهدف هو حماية البلاد من الداخل. والكاتب يطوف بنا بين دفتى الكتاب معطيا درسا عمليا على أهمية النكته السياسيه في التعبير عن واقع شعبى مأزوم عندما ينخفض سقف التعبير وإنسداد الأفق السياسى، وهو الأمر الذي يجعل النكته تنتشر وتصبح هى السمه العامه للتعبير عما يدور بداخل الشعب من أزمات.

وقد عدد الكاتب وهو ضابط متخصص في الحرب النفسيه والإعلام والإتصال الجماهيرى أشكال التعبير بالنكته التي تتخذ أشكالا متعدده منها النكته الصريحه والمقال الساخر والكاريكاتير الهزلى، وأشكال التعبير الكوميدى في السينما والمسرح، وجال بنا في سرد شيق على عديد الدول العربيه في العراق وسوريا ولبنان، ولكنه وعلى الرغم من كونه لبنانى الجنسيه إلا أنه ركز على مصر لأنها على حد توصيفه هى البلد التي يتميز شعبها بالنكته وكانت الدولة التي صدرت النكته السياسيه إلى الدول العربيه، وكذلك لأن مصر كانت محل الدراسه التي بناءا عليها حصل على درجه نجاحه في أمريكا للدراسه التي قدمها عن الحرب النفسيه.

فالكاتب بعين الخبير الدارس يرصد تطور النكته في مصر بأسلوب علمى

منذ بدء الصحافه الهزليه المصرية في أواخر القرن التاسع عشر وتعرضها لرأس النظام المصرى، وتطور المسرح الكوميدى الساخر وكذلك السينما، كل هذا مواكبا للنكته الشعبيه التي تعتبر مصدرا هاما وأساسيا للسخريه، ويرصد تفاعل الحكام الملكيين والجمهوريين في مصر مع النكته ومدى حبهم لسماعها ومدى غضبهم منها ويرصد قول سامى شرف – رئيس مكتب عبد الناصر للمعلومات – أن الرئيس عبد الناصر كان يحب سماع النكات التي تطلق ولكنه سجل إمتعاض عبد الناصر من بعض النكات التي تطال الحاله الإقتصاديه والسياسيه وخاصه النكات التي أطلقت عقب نكسة ٦٧، ونوه إلى أن النكات السياسيه عادة تستخدم من قبل الجهات المعاديه التي تنتج نكات ضمن الحرب النفسيه ضد الدولة وتطلقها في الشارع كما حدث مع أعضاء السفاره الأمريكيه في مصر وهو ما جعل عبد الناصر يحذر من خطورة النكته على الحاله العامه في مصر.

ولكن الكاتب وعلى لسان وزير الداخليه المصرى الأسبق/ حسن أبو باشا يرصد أهمية وحجم تأثيرالنكته السياسيه، قائلا " والميزة الكبرى للنكته السياسيه هى تخفيف حدة التوتر والتنفيس عن الضيق في الصدور أو الرغبه في توجيه نظر الحاكم إلى هموم تؤرق الجماهير، إذا لم يتم الإمتثال لوجهة نظر الرأى العام المتمثله في النكات فقد تنفجر في صورة إضطرابات تؤثر على الأمن بشكل عام أو بشلل عام ".

أى أننا أمام شكل تعبيرى شعبوى يعبر عن مأزق سياسى وإقتصادى لا يجد إلا التعبير بالنكته كحل أخير ووحيد، لهذا لم يخلوا الكتاب من التعرض لبعض النكات التي وصل بعضها لإستخدام المفردات الجنسيه للتعبير بقسوه عن الحاله التي وصل لها الشعب العربى، لهذا يكرر إحدى النكات قائلا

" قيل إن حاكما في بغداد في العصر الوسيط نصب عدة خوازيق، وكان يستمتع برؤية المحكومين من الشعب يتعذبون فوقها، ولكن أحد المحكوم عليهم كان كلما وضع على خازوق يطلب نقله على خازوق أكبر، ولفت هذا نظر الحاكم فأحضره وسأله عن سبب ذلك؟ فأجاب المواطن " حتى يتسنى لى الراحه بين الخازوق والآخر "

نكته لخصت علاقة مأزومه بين المواطن وسلطة الحكم لتكرار الأزمات المتعدده، ولكن الكاتب وعلى الرغم من إعجابه بالنكته وتعدد اشكالها الفنيه مسرح وسينما وأشعار وأزجال، إلا أنه يلفت النظر إلى أهميتها في الحروب النفسيه الموجهه ضد الدول العربيه وهو ما نوه إليه رئيس المخابرات المصرية السابق " صلاح نصر " في كتابه عن " الحرب النفسيه "، وهو الأمر الذي يجب أن يؤخذ على محمل الجد وسط سيل النكات التي تطلق بين الحين والآخر، وفى المقابل يجب أن تدرس الدولة أسباب الإحتقان التي دعت إلى إطلاق النكات بكثافه ومتعددة الأشكال ومساحة

إنتشـارها. وعما إذا كانت النكته السـياسـيه تعبر عن واقع مأزوم محتاج إلى إصـلاحات جذريه، أو نكته عابره مدعاه للسـخريه المشـروعه للضـحكه الغائبه.

❊ ❊ ❊

# أكاديمية السيسى..
# تفكير خارج الصندوق أم استنساخ تاريخي

طبقا للقرار الجمهورى رقم ٤٣٤ لسنة ٢٠١٧ فقد تقرر إنشاء " الأكاديمية الوطنية لتأهيل وتدريب الشباب " في مصر وهو ما أسفر عن إنشاءها رسميا في أغسطس ٢٠١٧، وهى تعتبر باقورة إجتماعات الرئيس المصرى " عبد الفتاح السيسى " مع الشباب تحقيقا لرؤيته الخاصه في الإصلاح السياسى والإقتصادى والإدارى في مصر بعد ثورة ٢٥ يناير، وعلى الرغم من أن تلك الأكاديميه لها من الأهميه الكبيره والتى حتما سنجد لها أثرا على أرض الواقع المصرى وهو ما تحقق في تولى أولى خريجيها مناصب قياديه في بعض التعديلات التي أجراها الرئيس السيسى. إلا أنها لا تتمتع بالصدى الكافى لدى الأوساط المجتمعيه على الرغم من الأهميه الكبرى لها، لما لها من آثر ممتد لعقود طويله قادمه – ربما لإحكام الأزمه الإقتصاديه على عنق المجتمع وجعله لا يفكر أبعد من تحت قدميه–

فعلى الرغم من وجاهة التوجيه الذي أصدره السيسى بإنشاء تلك الأكاديميه لتخريج شباب قادر على إدارة مصر المستقبل إلا أن هذا التوجيه لم يكن الأول في تاريخ مصر الحديث فهذا التوجيه يعتبر الثالث إذا جاز لنا المقارنه بينهم،

فالتوجيه الأول كان على يد " محمد على باشـا " الذي قام بنهضـة مصـر الحديثه والذى قام بعملية تحديث واسـعه في كل المجالات معتمدا على ما أنجزه في بدايات حكمه والتى ركزت على التعليم ثم أنشـأ " مدرسـة الإدارة ١٨٣٤ " لتتم عمليـة إحلال للإداريين المصـريين مكـان آسـلافهم من المماليك والأتراك الذين كانوا يتحكمون في إدارة مفاصـل الدولة، وهو ما تحقق لمحمد على باشـا، ولكن بعد أن إنهار الحلم المصـرى بعد محمد على باشـا تراجعت الإداره المصـرية ولكن يحسـب لتلك التجربه أنها أوجدت ما عرف بالبيروقراطيه المصرية الحديثه التي أصبحت نواه لما هو قادم في التاريخ المصرى.

أما التوجيه الثانى فجاء بصـيغه مختلفه في زمن مختلف بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ من قبل الرئيس جمال عبد الناصـر ولكنه توجيها حمل شـكلا جديدا ومختلفا، فقد تم تنظيم الشباب في إطار سياسى يخدم المشروع السياسى لنظام مخاصـم لإيديولوجيا القرون الوسـطى، ولذلك تم إنشـاء ما عرف وقتها " بمنظمة الشباب " و" التنظيم الطليعى " تحت مظلة التنظيم السياسى الوحيد الممثل لنظام الحكم ألا وهو الإتحاد الإشـتراكى من أجل إخراج جيل جديد قادر على إدارة البلاد وفق منهجها الجديد، ولكن لم يكتب للتجربه أن تكتمل للنهايه بعدما إنهار مشـروع الدولة الناصـريه بعد نكسـة ١٩٦٧، ولكن وعلى الرغم من فشـل التجربه الناصـريه وحل الإتحاد الإشـتراكى بتنظيماته الشـبابيه إلا أن هؤلاء الشـباب كان لهم الفضـل في مد

مفاصل الدولة بكوادر قامت على أكتافها دولة السادات ومبارك فيما بعد، ولكن يبدوا أن الدولة المصرية رآت عدم المضى قدما في تحديث التجربه وهو ما جعلنا نرى شباب تلك التجربه وهم شيوخ كهول في سدة الحكم في أواخر عهد مبارك وماتت التجربه.

أما التوجيه الثالث فهو القائم حاليا على يد الرئيس السيسى وعلى الرغم من حمله جينات التوجيه الأول لمحمد على باشا من ناحية رغبة السيسى بتجاوز المعوقات التي تواجهه بسرعه عبر إنشاء طبقه من الشباب تساعده على تحمل المسؤوليه إلى حين إستكمال بقية مشروعه التحديثى، وحمله لجينات ظاهريه لتجربة منظمة الشباب والتنظيم الطليعى للرئيس عبدالناصر من حيث التأكيد على أهمية عقد مؤتمرات ثابته ودوريه للشباب، إلا أن التوجيه الثالث يحمل إعجابا واضحا بالتجربه الفرنسيه في الإداره والممثله في " المدرسه الوطنيه للإداره " والتى تخرج منها رؤساء جمهوريات ورؤساء وزارات بارزين في فرنسا وخارجها والتى رآها السيسى تجربه قابله للتكرار في مصر الجديده بعد ثورة ٢٥ يناير و٣٠ يونيو.

لكن مهلا فخروج التجربه من فرنسا وإعادة إستنساخها في بلدان آخرى لم يلقى النجاح المنشود، فالجزائر مثلا أنشأت " المدرسه الوطنيه للإداره " بذات المسمى الفرنسى في العام ١٩٦٤ وعلى الرغم من تخرج قيادات بارزه في الدولة منها إلا أن الجزائر لم تشهد تطورا للأمام وإنما حافظت على

جمودها الذي أصبح سمة أساسيه لدوله وطنية شاخت ولم يعد الإصلاح مجديا فيها،

وكذلك وعلى نفس المنوال أنشـأت موريتانيا " المدرسـه الوطنيه للإداره والصـحافه والقضـاء " في العام ١٩٦٦، ولم يختلف الحال في موريتانيا عن الجزائر، ولم يعد الأمر تحديثا بل إضـافه منشـأه تعليميه جديده إلى غيرها من المنشآت التعليميه.

فى كتاب " محمد على ونظام حكمه "" قال الأسـتاذ/ طارق البشـرى " لم يكن محمد على داعية فكر ولا صـاحب إنتاج ثقافى وإنما رجل دوله من أعلى طراز في عهده، كان زعيما وطنيا ومسـتقلا أراد أن يبنى أجهزة الدولة تتفق في صيغتها السياسيه مع هذا الطابع الوطنى والمستقل ". وهذا في ظنى يتسق مع أحاديث السيسى التي تركز على معنى الدولة ومفهموها من وجهة نظرته التحديثيه وهو القائل " أنا مش سـياسـى ". إذا نحن أمام رجل يركز على مشروع تحديثى فقط ليس من أولوياته الطابع السياسـى والثقافى الذي هو مؤجل إلى فتره قادمه

على الرغم من سـهولة المقارنه بين تجارب محمد على باشـا، والرئيس عبد الناصـر، والسـيسـى إلا أن تجربة السـيسـى لم تزل في بداياتها وهى ليسـت كسـابقاتها من حيث تاثرها بفكر جديد في بيئه مخاصـمه للتطور، إلا أنها ليست تجربه كما بشر بها نظام الحكم فكره " خارج الصندوق " بل هى من

داخل الصندوق المصرى ولكن بنكهه فرنسيه.

إذا اراد السيسى أن يجعل من فكرة أكاديميه الإدارة واقعا يفكر من خارج الصندوق فعليه أن يعمل على تخريج أجيال تفكر في مصر وفى مشروعها التحديثى للمستقبل فقط ولا يجب إعادة إستنساخهم على شاكلة تجربة محمد على باشا أو تجربة الرئيس عبد الناصر، ناجحون تحت مظلة السلطه حتى ما أن تسقط فإنهم يذوبون كما يذوب الملح في الماء

إننا نريد أجيالا غير مستنسخه قادره وفاعله

❊ ❊ ❊

# مصر بين الملك المؤمن والرئيس المؤمن

يخطىء من يريد الحكم على علاقة الدين بالدولة في مصر من ناحية إختياره لبدايات خطأ ينطلق منها مما يؤدى به إلى نهايات مغلوطه تؤدى إلى سوء فهم يصل إلى حدود الدم في بعض الأحيان، فدعاة الدولة المدنيه ينطلقون من فكرة أن الدولة يجب عليها أن تفصل فصلا تاما بين الدين والدولة لضمان تقدما نحو المستقبل منطلقين من مفهومهم للدوله المدنيه بالمعنى الإصطلاحى الغربى، في مقابل تيار دينى يرى أنه يجب أن تتحول الدولة إلى دوله دينيه محضه وللأسف لا وجود لها في الإسلام، لذلك ينعت أصحاب كلا التيارين الدولة بأقذع الصفات من التخلف والرجعيه إلى الكفر والإلحاد، وهما بذلك قد أثبتا أنهما لم يفهما دور الدين في إدارة الدولة المصرية!!

فعلاقه قصر الحكم والمعبد هى نفس علاقة القصر بالكنيسه، وكذلك علاقة القصر بالمسجد، لم تتغير مصر فالدين حاضر في رأس الدولة، يجرى إستدعاءه في حالات كثيره لإنقاذ النظام من السقوط لذلك كانت مكانة المؤسسه الدينيه ورموزها الدينيه كهنه وقساوسه وشيوخ محل إعتبار كبير لدى السلطه، ومع ذلك لم تكن مصر دوله دينيه بحته لكن يمكن تعريفها بأنها دوله أسرفت في إستخدام الدين في السياسة. ومظاهر ذلك الإسراف هو بناء المعابد والكنائس والمساجد على طول التاريخ المصرى في محاوله من

الدولة لبيان أنها تراعى وتحترم الدين وأنها لا تقبل المســاس به في محاوله أزليه للتمترس وراء الدين ضـد معارضـيها وضـمان أبديه حكم أيا ما كانت توجهاته وسياساته.

وفى مصـر حددت العلاقه بين الدولة والدين بما يضـمن عدم تغول أحدهما على الآخر فحراس العقيده والدين لم يقتربوا من دائرة الحكم في المقابل لم تستحوذ الدولة على الدين حتى وإن تسمى الملوك والرؤساء بمسميات دينيه فهذا لا يعدوا كونه شــكلا دينيا أمام شــعب جرى إغراقه في العبادات الدينيه حتى صدق أنه متدين بطبعه ولم يقف ولو للحظه أمام أنه قد غير دينه مرتين، حتى لا يقترب من تحالف أزلى لم ولن تنفك عراه أبدا طالما أن الشعب لا يرى في تلك العلاقه أى ضرر.

ومع بداية مصــر الحديثه لم يفطن الجميع إلى أنها قد بدأت بتنصـيب المؤسسه الدينيه وحراس العقيدة لمحمد على باشا ملكا على مصر وروجوا له وظنوا أن لهم اليد العليا عليه فإذا به يعيدهم إلى رشدهم سريعا ويذكرهم بالعلاقه بين الدين والدولة وينكل برؤســائهم حتى عادت العلاقه إلى مسارها الصحيح، ومع مرور السنوات فإذا بالملك فاروق آخر ملوك أسرة محمد على باشــا، يســتدعى الدين في محاوله لإنقاذ عرشــه وتقوية لشــوكة حكم واقع تحت الإحتلال الأجنبى وضــد محاولات لتقليص صــلاحياته لصـــالح حكومة الوفد برئاســة النحاس باشــا، فإذا به يتقرب إلى مشـــايخ

الأزهر الذين كانوا يرون في التوجهات الغربيه الليبراليه خطرا ينتشر في مصر بما يقلص من صــلاحياتهم، وهو ما بدا خطرا على مفهوم ( الدولة_الدين ) فكان التحرك ســريعا فتحمس الأزهر لدعوة إرجاع الخلافه الإســلاميه مرة أخرى وعلى رأسها الملك فاروق الذي أغدق الأموال الكثيره على الأعمال الخيريه وبناء المســاجد في محاوله يائســه لم تثمر عن شــئ وســقط الملك وحكمه على الرغم من هتاف الناس له بلقب " الملك المؤمن " لأنه قد تجاوز الزمن ولكن ( الدولة_الدين ) لم تســقط فعلى الرغم من صــدام ( الـدولـة_الـدين ) مع تيـار دينى حركى طـارئ على تلـك العلاقه الأزليـه ( الإخوان المســلمين ) بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ إلا أن ذلك لم يســتطع أن ينال منها فبناء المســاجد ودعم الأزهر والكنيســه كان على نفس الوتيره الأزليه، حتى كان حكم الرئيس الســادات الذي رأى أن حكمه على وشــك الإنهيار على الرغم من إنتصــاره الباهر على العدو الإســرائيلى في أكتوبر١٩٧٣ فقام بإســتدعاء الدين في محاوله للتغلب على خصــومه الســياســيين في الداخل والخارج ولكنه وعلى الرغم في أنه تسمى بــ" الرئيس المؤمن " مثل الملك فـاروق إلا أنـه تخطى الخط الأحمر ولـم يتمترس حول ( الـدولـة_الـدين ) التقليدى وقام بإســتدعاء التيار الدينى الإســلامى الوافد الطارئ على تلك العلاقه ويجهل ممارســاتها عبر التاريخ وهو بذلك أعاد للأذهان محاولة الفرعون " إخناتون " الجنوح بالدولة ناحية معتقداته الدينيه الخاصــه فكان جزاءه القتـل وهو مـا حـدث مع الســادات الـذي خرج عن ثوابـت (

الدولة_الدين ) على الرغم من المظاهر الإيمانيه وعمارة المســاجد التي قام بها.

لهذا فإن على جميع من يتعامل بالسياسة في مصر أن يعيد تعريف العلاقه بين الدولة والدين حتى يستطيع الحركه، وعلى أنصار التيار الدينى أن يعيدوا النظر في مفهوم العلاقه بين الدولة والدين من الناحيه الدينيه البحته لأن مصيرهم في مصر سيكون على المحك. وليس بمشهد ( الدولة_ الدين ) تحت قبة البرلمان قبل ثورة ٢٥ يناير ببعيد عندما وجدت نفسها مضطره للدفاع عن وجودها عندما تقدم الإخوان المسلمون (الوافد الطارئ على علاقة الدولة _الدين ) بطلب إحاطه ضد تصريحات وزير الثقافه الذي أنكر الحجاب وظنوا انه قد حانت لحظة الإنقضاض على الدولة سياسيا فإذا بهم تحت قبة البرلمان أمام رجال دوله طالت لحاهم فجأه وظهرت في وجوههم زبيبة الصلاه وقاموا ليؤكدوا أن الوزير لا يمثلهم وأن نساؤهم محجبات قانتات عابدات، مما أوقع أنصار الإخوان في ذهول مما يحدث فلم يعلقوا بكلمه بعد ما سمعوا وأفلتت ( الدولة _الدين ) من المأزق بخبرة السنوات الطويله.

لا تحســبوا أن الدين بعيدا عن حرم الســياســة والحكم، إنه في القلب ولكنه على الطريقه المصرية ولن تجدوا فارقا كبيرا بين ملك مؤمن أو رئيس مؤمن فقانون ( الدولة_الدين ) أزلى وقديم قدم الحياة في مصر.

❋ ❋ ❋

# وطنية البنية التحتية

" وقف الزعيم الملهم صاحب النياشين الكثيره والمتعدده يمسك بيده مقص مقدم على حامل من القطيفه المزركشه، ويتقدم ليقص شريط ملئ بالورود معلنا تدشين كوبرى جديد. وفجأة تحل على شاشة التلفاز الموسيقى الوطنيه المصحوبه بأغانى تدغدغ العواطف والمشاعر تتغنى بحب الوطن وإنجازات الزعيم الملهم الذي غير وجه الوطن وجعل التنميه نصب عينيه ولولا عناية الله التي أرسلته لنا ما كانت هناك بنيه تحتيه في بلادنا"

من منا في دول العالم الثالث لم يعش تلك الحاله المنتشيه من حالات وطنية البنيه التحتية؟ من منا لم يعش صداما مع مؤيدى وطنية البنيه التحتية وأحتدم الحوار وتشعب حتى تجد نفسك دائما أمام الإجابات المعلبه، أتنكرأن هناك بنيه تحتيه حديثه!! أتنكر أن الكبارى سهلت المواصلات!! أتنكر الكهرباء!! أتنكر!! أتنكر!! أتنكر!! حتى تجد نفسك بنهاية الحديث في خانة الخونه الذين يتوجب طردهم من جنة البنيه التحتية

دول العالم الثالث منكوبه في بنيتها التحتية، بالطبع ليست بنية الزعيم الملهم ومؤيديه، بل بنية العقل القادر على البناء ومخاطبة المستقبل، بنية الوعى القادر على إيجاد صيغة تعايش تستطيع بها المجتمعات التطور وإيجاد عداله إجتماعيه قدره على تذويب الفوارق في تلك المجتمعات عند حدودها المقبوله إنسانيا.

ولسخرية القدر! أنه منذ فترة التحرر الوطنى في خمسينيات القرن العشرين والتى إجتاحت دول العالم الثالث معلنة التحرر من الإستعمار الذي أعاق التنميه وسرق قوت الشعوب المقهوره بالقوه، ومعلنة في الوقت نفسه بداية عهدا جديد من التنميه الوطنيه وأنصب الأداء في البدايه على إيجاد بنيه تحتيه جديده وقويه ليتم بعدها بناء مجتمع حديث قادر وواعى بمتطلبات المستقبل، وبعد أن قطع التحرريين الوطنيين شوطا طويلا في البناء التحتى والتحديث المصحوب بشحنه هائله من حب الجماهير التي تعيش ليل نهار على إنجازات حقيقيه بلا شك ولكن التهويل الإعلامى جعلها في مصاف إنجاز الأحلام، وتمر السنوات ولا ندرى ماذا حدث لورثة الأحرار الوطنيين الذين سارعوا إلى النكوث عن عهود سابقه طقعها سابقوهم أمام الشعوب من التنميه الإقتصاديه والمجتمعيه إرتضى منها الشعب الفتات على أمل اللحاق بالمستقبل الذي لم يأتى؟؟ لذلك لم يجد الوطنيين اللاحقين من الزعماء ذوى النياشين والحزبيين إلا طريق واحد للحفاظ على تلك الشعوب تحت السيطره والتى أصبحت مطالبها تزداد يوما بعد يوم، ألا وهو تعميق مفهوم الوطنيه والمؤامره التي تحاك بليل ضدنا من أعداء الوطن في كل مكان على كوكب الأرض، متخذين من كل فعل يقوم به الزعيم على إنه أقصى ما تستطيع البلاد فعله وأنه كان من المستحيل فعل ذلك لولا عناية السماء التي ارسلت إبنها البار سيادة الزعيم ليقود سفينه البلاد وسط العواصف الهوجاء والمؤامرات،

إن كل زعيم أو رئيس كان ديكتاتورا أم منتخبا عليه ان يدرك أن الشعوب إزداد وعيها وعلت مطالبها ولم تعد تنظر فقط إلى الطعام والشراب بل أصبحت تنظر إلى المستقبل، لقد تغيرت أشياء كثيره، وجرت في نهر الحياة الإجتماعيه في دول العالم الثالث مياه تغيير كثيره ولم تعد تلك الدول تنظر بعين الإجلال والفخر لإنجازت السيد الزعيم لإفتتاحه كوبرى جديد، أو مصنع جديد فقد إعتبروها من البديهيات التي يجب على الزعيم فعلها، ولم يعد يلهب حماسهم رفع الأعلام الوطنيه إلا في مباريات كرة القدم التي عشقوها حتى أجبروا سيادة الزعيم على حضور المباريات أملا في إكتساب مزيد من الشعبيه إذا كانت موجوده اصلا.

مهلا!!!! فهناك نماذج لدول من العالم الثالث أفلتت من كابوس وطنية البنيه التحتية والموسيقى الحماسيه، وأنطلقت بعيدا نحو المستقبل عندما أدركت أن الإنسان مقدم على الكوبرى ومقصات قص شرائط إفتتاحات الزعيم المتكرره للمشاريع الوطنيه، وأن الزعيم ليس الملهم الوحيد في هذا الكون! فكانت نهضتها الكبرى في شرق آسيا والبرازيل وجنوب افريقيا و.....!!

البنيه التحتية هى بنية الإنسان المعاصر، تهتم ببناء التعليم السليم، والصحه السليمه، والعداله الإجتماعيه، ومجتمع متناغم منتج بقياده رشيده، هنا نستطيع أن نقول أننا نخاطب المستقبل، بشرط أن نبدأ بهدم ما رسخ في

الذاكره المجتمعيه من موسـيقى وأغنيات حماسـيه تمجد في سـياسـة البنيه التحتية فقط دونما التقدم ولو خطوه نحو المستقبل

❋ ❋ ❋

# السرقة في بلادنا لا تدخل النار!!

هل جربت يوما أن تكون حرامى؟!

سـؤال يبدوا عند كثيرين مسـتنكرا وغريبا، وليس من المقبول أن يطرح من الأسـاس، حيث تتداعى عندهم موروثات دينيه وأخلاقيه تقف حاجزا أمام تقبلهم لمبدأ السـرقه، ولكن مهلا فليسـت الصـورة كما ترونها فهناك جانب إيجابى للسرقه لم تعلموه بعد!!

هل تعلمون أن السرقة في بلادنا لا يدخل السارق بسببها النار؟! أكاد أسمع ضـجيج وجلبه وهمهمات من الجميع مسـتنكرة هذا الكلام الغير منطقى دينيا وأخلاقيا، ولكن مهلا وتعالوا ننصت جميعا لصوت العقل.

يروى " أن الصحابى الجليل " سهيل بن عمرو " كان على سفر هو وزوجته، وفى الطريق إعترضـهم قطاع الطرق وأخذوا كل ما معهم من مال وطعام، كل شئ تقريبا. وجلس اللصوص يأكلون ما حصلوا عليه من طعام وزاد، فأنتبه سهيل بن عمرو أن قائد اللصوص لا يشاركهم الأكل!! فسأله لماذا لا تأكل معهم؟! فرد عليه: إنى صائم، فدهش سهيل فقال له: تسرق وتصوم!!

قال له: إنى أترك بابا بينى وبين الله لعلى أدخل منه يوما ما.

وبعدها بعام أوعامين رآه سهيل في الحج وقد تعلق بأستار الكعبه وقد أصبح زاهدا عابدا، فنظر إليه فعرفه، فقال: أوعلمت من ترك بينه وبين الله بابا دخل

منه يوما ما "

وما أن ينتهى الرواى من روايته حتى يتحفنا بتعليق مانع باتر " سـبحان الله فعلا.. إياك أن تغلق جميع الأبواب بينك وبين الله عز وجل حتى لو كنت عاصـيا وتقترف معاصـى كثيرة، فعسـى باب واحد أن يفتح لك أبوابا في التقرب إليه "

هل عرفتم الأن السارق في بلادنا لا يدخل النار! لقد وجد من يجد له مخرج دينى يدغدغ مشاعر الفقراء المسروقين، فالمسـأله بسيطه، إسرق! إنهب! فأموال الناس الخاصه والعامه مستباحه ولا تخف فبعد أن تتعب وتقررعند لحظه ما أنك لم تعد قادرا على الإستمرار في السرقه، فما عليك إلا أن تعلن توبتك وتذهب تطوف وتتعلق بأسـتار الكعبه وتبكى، وترجع إلينا وفى يدك مسـبحه وذبيبة صـلاة تزين جبهتك، ولا تخف فلن يعاقبك أحد فالناس مخدره مغمى عليها من أثر الإسـتحمار الذي مورس عليهم من مشـايخ السلطه، الذين من أثر المخدر لم يعودوا يسألون عن أموالهم التي سرقت! ولا لماذا لم يعاقب السارق! بل بمرور الوقت يفسحون له الطرقات مرحبين ينتظرون عطايا وفتات يتسـاقط من بين يدى المحسـن الكبير الذي ملئت أعماله الخيريه حياة الناس سرورا.

لذلك لا عجب أن تجد في بلادنا من يدعوا على المنابر متوجها إلى الله " أن يدعوا لسـارقى المال العام بالهدايه والعوده إلى الطريق القويم " ولا يجرؤ

بالدعاء إلى التخلص منهم بالقصاص لحق الله وحق الغلابه من الشعب الذي يرزح تحت مقصلة الفقر، لماذا؟ لأن المحسن الكبير ( اللص السابق التائب ) قام بالمساهمه في بناء المسجد وأوقف جزءا من ماله الخاص صدقه جاريه للفقراء تقربا إلى الله

إننا نعيش حاله زمنيه عجيبه! فلقد عرفنا أن هناك عمليه " غسيل أموال " والتى تحول الأموال القذره والمسروقه إلى أموال شرعيه، وعرفنا أيضا أن هناك حملة علاقات عامه لتبييض السمعه القذره للسياسيين والحكام، ولكن أبشع ما نعيشه من قديم الأزل ويجرى تسويقه في هذه الأيام السوده بكثره هو المحاولات المتكرره والدؤوبه لجعل السارق، حرامى المال الخاص والعام مواطن صالح مبشرا بجنة عرضها السموات والأرض بصك توبه بالتأكيد هى مقبوله بشهادة رجل دين مزور جعل من الدين مطيه وجراب حاوى يخرج منه ما يجعل من مسائله السارق مسألة غايه في الصعوبه، فكيف نحاسب رجلا تاب إلى الله؟ وكيف نحاسب رجلا خيرا معطاءا؟ وكيف نحاسب رجلا يقف الفقراء أمامه يطلبون إحسانه؟

لذلك لا تعجبوا إذا سمعتم قولا للكاتب الليبرالى الراحل " فرج فوده " المتهم بالكفر والزندقه ودفع حياته ثمنا لأفكاره يقول فيه " في مجتمع الكفايه والعدل حيث يجد الخائف مأمنا، والجائع طعاما، والمشرد سكنا، والإنسان كرامه، والمفكر حريه، والذمى حقا كاملا للمواطنه، يصعب

الإعتراض على تطبيق الحدود بحجة القسـوة، أو المطالبه بتأجيل تطبيقها بحجة الموائمه، أو عن قبول بإرتكاب المعصـية إتقاءا لفتنة، أو تشـبها بعمر في تعطيله لحد السـرقه في عام المجاعه، أو لجوءا للتعزير في مجتمع يعز فيه الشـهود العدول ".. في مقابل من يبرؤون اللصـوص ويدخلونهم الجنه في زمن اللاعداله، واللا حريه، واللاكفايه.

لا تحسبوا أننا ننتصر لفكر أو دين، أو نرجح فئه على فئه في المجتمع، ولكن عزيزى القارئ يجب أن تنتبه وأن تفيق من حالة الإسـتحمار الممنهج، فالسـارق لا يوصـف إلا بالسـارق، والتوبه لها شـروط قاسيه أهمها أن يتم التخلص من الأموال المسـروقه وليس بمبدأ " التوبه تجب ما قبلها " وبهذا يغسـل ذنوبه وأمواله بالمره، السـارق يجب أن يعاقب على رؤوس الأشـهاد وإلا فعلى الجميع أن يراجعوا موقفهم من دينهم وأخلاقهم

ربكم العدل، ولن يدخل الجنه سارق ناهب لأموال الناس! ورسولكم أقسم بأن يقطع يد السـارق! ومع ذلك أجد من يصـدق أن السـارق سـيدخل الجنه بمجرد طوافه بالكعبه! كفاكم إستحمارا

❀ ❀ ❀

# إعمل عبيط.. سيكولوجية التفكير العربى

من منا لا يعرف العبيط!! ذاك الإنسان البسيط الذي طبقا لتعريف المعجم الوسيط هو " إنسان به بلاهه وعدم نضج ". ذاك الإنسان الذي يهيم على وجهه في الطرقات في المدن والقرى ولا يسلم من تعليقات الناس التي تعامله بإزدارء كامل ويتحاشون التعامل معه، لكن في الريف المصرى الذي لم يصل بعد للنضج في التعامل مع الحالات المرضيه التي يصاب بها بعضا من أبناءة، فما أن يكبروا حتى يتركوهم يهيمون في الشوارع معرضين للسخريه حتى يظهر الموروث الشعبى ليضع لمساته على هذا المريض الذي يهيم على وجهه، تارة يصفه بالجنون، وتارة يصفه بالولايه الدينيه الصوفيه ويصبح بين يوم وليله " الدرويش المبروك " الذي يتبرك به الرجال والنساء على السواء، في مقابل تسمية بعض النساء لوليدها بـــــ " العبيط " حتى تبعد عنه الحسد خصوصا إن كان المولود ذكرا لم يسبقه ذكر آخر سوى بنات فقط.

وقد تناول الكاتب السودانى الكبير " الصالح الطيب " قضية الإنسان العبيط في روايته الجذابه " عرس الزين ". فبطل الرواية القصيره نسبيا " الزين " يصفه الكاتب بأبشع الصفات الشكليه من دمامه الخلقه إلى سيره حافى القدمين بإستمرار وأظافرة الطويله المتسخه، وصوته عندما يضحك الذي يشبه نهيق الحمار، وفمه الذي لا توجد به أسنان غير إثنتين، واحده في الفك

العلوى والأخرى في الأسـفل، ولم ينس الكاتب أن يذكرنا بأن " أم الزين " لما رأت من بلاهة إبنها خرجت علينا بروايه تخبرنا بها أن إبنها الوحيد " ولى من أولياء الله " حتى تلك الروايه تغلغلت في الوجدان الشـعبى وكثرت الروايات في مشاهدات للزين في مكانين مختلفين شمالا وآخر جنوبا في ذات الوقت مما رسخ في العقل الجمعى للقريه أنه إنسان مبروك.

ولكن على الرغم من ذلك فالكاتب يهيم بنا بشـخصـيه " زين " العبيط في محيطه القروى في السـودان، وجعله مثار أحداث مثيرة فهو ذاك الإنسـان الذي يستغله الجميع في أعمال شاقه كفلاحة الأرض وكذلك النسوه اللاتى يسـاعدنهن في أعمال المنزل كل ذلك بدون مقابل، ولكن الكاتب يذهب بنا إلى منحى آخر وهو شـخصـية الزين ذاتها، تلك الشـخصـيه المرحه التي يمازحها الكل، ولا تخلوا أحاديثه من ذكر النسـاء وأنه إذا أحب فتاة ظل يذكرها بأنه سـوف يتزوجها ولم يسـتثنى أى فتاة غنية من علية القوم أو من فقراء القريه أو البدو الرحل، ولسـخرية القدر أن كل فتاة ذكرها الزين جاءها عريس وتزوجت وكأنه مفتاح الفرج للفتاة التي تريد أن تتزوج وهو الأمر الذي إنتشـر في القريه وأصـبح الزين الرجل المبروك الذي فتحت له نسـوة القريه البيوت دون تحفظ لعل وعسى يحب الفتاة الصغيره في البيت ليصبح من الإماكن أن يأتيها عريس عما قريب، وهو ما جعل تحفظ نساء القريه معه يقل بسـبب إنه " عبيط " فكان تلامسـه بيديه وقرصـه لهم في أجسـادهن شئ عادى بل يثير ضحكهن!!!

وتمر السنوات على نبوءه لشيخ درويش كان يحب الزين في أنه سوف يتزوج أجمل فتاة، وتتحقق النبوءة وتختارة " نعمة " بنت الحاج إبراهيم الجميله الميسورة الحال ذات الحسب، دون عن رجال القريه الذين جفت حلوقهم وغاصت قلوبهم من هول ذاك الخبر الذي هز كيان القريه والأعراف المجتمعيه " زين هيعرس بنعمه ".

وجاء يوم العرس وأقيمت الأفراح وعمت القريه كلها، وألبسوا الزين ملابس العرس ملابس بيضاء وعباءة خضراء وخاتم ذهب في يديه، بجانب كرباج من جلد التمساح يرقص به، وعلى الرغم من ذلك ترك الزين العرس وذهب إلى المقابر لزيارة شيخة الدرويش الذي مات، وقام أصدقاءه بإرجاعه إلى الفرح مرة أخرى، وما أن وصل حتى قفز يرقص بطريقة العبيط وفى يده الكرباج وظل يقول بصوت عالى " أبشروا بالخير.. أبشروا بالخير".

وعلى الرغم من أن الروايه وصفيه لحاله إنسانيه متفرده في محيطها الإنسانى، إلا أن الكاتب إستطاع أن يخرج بنا وقد رسم صورة صحيحه مائه بالمائه لشخصية العبيط، في ظل سيادة موقف فوقى للمجتمع العربى العاجز عن إحتضان مرضاه وعلاجهم بدلا من السخريه منهم، وهو موقف إنسحب بمرور السنوات على موقفه اليومى من القضايا السياسيه والإقتصاديه والإجتماعيه والتى عجز عن علاجها في مواجهة السلطه الحاكمه فتقمص الجميع دور العبيط مفضلين عدم الصدام، وأصبحت جملة " إعمل عبيط "

عند ذكر أى محاولة للإصلاح هى الحل السحرى للهروب من المسؤوليه المجتمعيه، في إنتظار أن تظهر " نعمة " تنقذ " زين " العبيط العربى من واقعة المزرى وفى إنتظار ذاك الوعد بالتغيير فلن يكون أمامه إلا أن ينتظر وعد زين الرواية مرددا " أبشروا بالخير.. أبشروا بالخير ".

إلى كل عربى ينتظر " نعمه " أن تنزل عليه من السماء تنشله من حالة " البلاهه وعدم النضج" التي تلبسته في مواجهة واقعه فعليه أن يتخلى عن سيكولوجيه التغير السلبيه " إعمل عبيط " التي يتبعها في واقعه المعيشى اليومى.

❊ ❊ ❊

# كسر أنف ؟! أم كسر عين ؟! أم ترويض مجتمعى ؟!

من لم يسمع يوما في مصر جملة " دا كاسر عينه " أو " دا حط مناخيره في الأرض " أو " كسر مناخيره "، فهذه الجمل التي تحمل معنى باطنى يتعدى مفهوم الكسر المادى إلى الكسر أو التحطيم المعنوى للضحيه المقصوده إجتماعيا وهذا أسلوب متوارث من ثقافه العبيد المماليك الذين حكموا مصر.. كيف؟!

بعد دخول " نابليون بونابارت " بحملته الشهيره على مصر أراد أن يظهر عظمته وأنه قادر على صنع التاريخ فقام الرسامون الفرنسيون برسمه وهو على صهوة جواده أمام تمثال " أبو الهول " في إشاره إلى أنه سيكون بعظمة الفراعنه القدماء، ولكن ما لفت الأنظار لتلك الصوره ليس عظمة نابليون ولا مجده الشخصى بقدر ما أن أنف أبوالهول (مناخير باللهجه العاميه المصرية ) كانت مكسوره وشاع أن نابليون قد أحضر المدافع وصوبها إلى أنف أبوالهول في محاوله لكسر هيبة المصريين الفراعنه، وقد إستمر هذا الوضع قائما حتى ظهر منطق أكثر ثباتا ويفسر تلك الحادثه، فقد وجدت تماثيل فرعونيه مكتشفه بعد رحيل الحمله الفرنسيه بسنوات طويله مكسورة الأنف لملوك وشخصيات رفيعه في مصر القديمه، وبعد دراسه حديثه وجد ان الفراعنه في فتره من الفترات كانوا يعتقدون بأن الروح الشريره من الممكن أن تدخل إلى تمثال الملك المتوفى عن طريق الأنف وتحول

التمثال إلى قوى شـريره تمنع الملك من البعث مرة أخرى، ولهذا كانوا يقطعون الطريق على تلك القوى الشريره بكسر أنف التمثال.

ولما كان الفراعنه يكسرون الأنف للزود عن أنفسهم من القوى الشريره، إلا أن حكاما آخرين ورثوا الحكم في مصـر كان لهم منطق آخر لكسـر الأنف، وهم المماليك العبيد الذين جلبوا من كل أنحاء المعموره الذين تفننوا في إدخال أسـاليب تعذيب وقمع للسيطره على الشعب المصـرى ورثوها من العبوديه التي لم يشـفع لهم حكم مصـر أن يتخلصـوا منها بعدما أصـبحوا أحرارا، ولكن وسائل التعذيب كان لها وجه آخر غير التعذيب الجسدى ألا وهو التعذيب النفسى للضحيه وهو ما عرف بعقوبة " التجريس " أو التشهير أو الفضـيحه بالعاميه المصـرية والتى كانت عباره عن تقييد الضـحيه وتعرية الجزءالأعلى منه وإركابه حمارا أو حصـانا بطريقه معكوسـه مع ضـربه بالعصـى على ظهره وهو سائر في طرقات المدينه مشفوعا بلعنات وسباب العامه والدهماء، وهى طريقه كانت تحطم الضـحيه نفسـيا وتثير ضـده الإستياء والإزدراء وتحطم مكانته ومكانة عائلته مجتمعيا، وهو أسلوب كان يستخدم في ترويض السلطه المملوكيه لخصومها وجعلهم عبره لمن يتجرأ على سـلطتها من خصـومها من الأمراء المنافسـين ومن عوام الشـعب المحافظ التقليدى الذي أصبح يخاف هذا النوع من العقوبه المجتمعيه.

وأصبح الضحيه يخاف الظهور علنا حتى يتفادى نظرات الإزدارء والسخريه

من العوام بعدما حطمت السلطه كبرياءه ( كسرت أنفه رمز الكبرياء )، وتطور الأمر بعد ذلك المنطق المملوكى إلى مفهوم كسر العين وهو إستخدام شائع وهو يختلف عن مفهوم كسر الأنف لأنه يطال السيدات اللواتى ينضوين تحت حماية الضحيه من التشهير مما يجعل الضحيه يخاف من الفضيحه ويسهل التلاعب به.

ومع تطور المجتمع وخروجه من شرنقة القرون الوسطى ومع تحول مصر إلى دولة مؤسسات إلا أن الموروث الشعبى قد تشبع بالفكر المملوكى وتحول مفهوم الفراعنه عن كسر الأنف وهو ترويض الأرواح الشريره ومنعها من أن تدخل إلى تمثال المتوفى، إلى مفهوم مملوكى يستخدم لكسر كبرياء الضحايا وترويض المجتمع من وراءهم وتخويفه إن هو تجرأ وخرج عن سلطان الدولة، وأصبح التجريس أو التشهير هو سلوك شعبى أصبح يمارسه أكثرية الناس بهدف ترويض بعضهم البعض حتى غابت تعاليم الدين السمحه والسلوكيات الحضاريه وحل محلها ثقافة العبيد التي أصبحت عنوانا شعبيا لكثير من الممارسات المملوكيه في الشارع المصرى

غاب الدين والحضاره فشاع سلوك العبيد، الذين أصبحوا يرون في ترويض بعضهم البعض عن طريق إشاعة ثقافة " كسر الأنف " و" كسر العين " هو سلوك طبيعى يعوضهم عن تدنى دينى وأخلاقى أصبح سمه أساسيه لمجتمع لم يتخلص بعد من ثقافة المماليك.

# الصين ومأزق استثمارات الديون مع مصر

لم يكن تصريح الرئيس المصرى " عبد الفتاح السيسى " ردا على الشائعات التي قالت بأن بناء العاصمة الجديدة والمدن الجديدة الأخرى هو عبء على الموازنه العامه للدوله والتى تعانى عجزا شديدا!! وبدلا من توجيه تلك المليارات المهدرة على مبانى وإنشاءات لن تدر أى عائد على الفقراء قائلا " والله والله كل المدن الجديده دى من خارج موازنة الدولة "، ليضيف لغزا جعل الجميع حائرا ويطرح أسئله لم يجد أحدا في الدولة من يجيب عليها!!

من أين تمول تلك المشاريع إذاً؟

ولقد أثار تصريح المدير التنفيذى للبنك الدولى بأن " مصر ستحتاج ٦٧٥ مليار دولار للبنيه الأساسيه خلال الـ ٢٠ عاما القادمه، تستطيع مصر تدبير ٤٤٥ مليار دولار منها والفجوه تصل إلى ٢٣٠ مليار دولار " لغطا كبيرا على الرغم من تفاءله النسبى حول قدرة مصر في تدبير الأموال من ناحيه كيف ومن أين ستدبر مصر تلك الأموال وسط ظروف الإقتصاد الصعبه وتراكم الديون؟!

ومع نهاية الزيارة الأخيره للرئيس " السيسى " إلى الصين هذا الأسبوع تم توقيع عقد قرض بقيمة ثلاث مليارات من الدولارات لتمويل بناء العاصمة الجديدة ليزيد الغموض ويدفع بالتساؤلات إلى منحى آخر أشد خطورة

وقلق على مستقبل الإقتصاد المصرى حيث ينظر لهذا القرض على أنه زيادة في الدين العام ربما لا تقدر مصر مستقبلا على الوفاء بإلتزماته!!

لماذا هذا القرض؟ من سيدفع قيمته بالفوائد؟!

وفى أول تجاوب الدولة مع تساؤلات الشارع حول ماهية القرض الصينى الجديد بعدما أثار لغطا كبيرا في الشارع!! فصرحت وزارة الماليه بأن القرض ليس قرضا حكوميا وأن الجهه المقترضه هى هيئة المجتمعات العمرانيه وهى التي ستسدد قيمة القرض بفوائدة على عشر سنوات من عوائد البيع والإستثمار في عقارات العاصمه الجديده!! هنا بدأت تتكشف بعض ملامح وليس كل مصادر تمويل العاصمة الجديدة من خارج الموازنه، إنه الإقتراض لصالح الهيئات الخاصه والقطاع الخاص المشاركه في عملية البناء وهو يسلط الضوء على العوائد التي سيجنيها الجانب الصينى بتمويله لتلك المشاريع المعمارية والتى تدخل في نطاق ما يعرف بإستثمارات البنيه التحتية والتى لا تدر أربحا ذات عوائد مرتفعه!

فى بداية مشروع العاصمة الجديدة تم الحديث عن أن الشركات الإماراتيه هى من ستبنى وتمول المشروع ولكن تم التراجع عن الإتفاق بسبب الخلاف على نسبة الأرباح التي يريد الإماراتيين دفعها للحكومه المصرية ناهيك على شرطهم وهو تمويل مشاريع الإنشاء بالإقتراض من البنوك المصرية وهو ما رفضته الحكومه المصرية!!

وهنا إتجهت مصر ناحية الصين لبناء المشروع ولكن الصينين كانوا أكثر إجحافا في إعطاء مصر نسبة من الأرباح من نظراؤهم الإماراتيين ولهذا إتجهت مصر إلى الشركات المصرية لبناء المشروع مع السماح للشركات والهيئات الخاصه بالحصول على قروض ضمن حزمة إجراءات أخرى لتمويل بناء العاصمة الجديدة وعلى الرغم من أفضلية القروض الصينيه من ناحيه فترة السداد ونسبة الفائدة على القروض عنها من القروض الأمريكيه إلا أنها ذات مخاطره كبيرة على السياده الوطنيه.. لماذا؟!

فعلى الرغم من السخاء الصينى مع مصر في مسألة منح القروض لمساعدتها للخروج من أزمتها الماليه إلا أن القروض الصينيه محفوفه بالمخاطر حيث ينبه الرئيس الزامبى السابق إلى أن " الإستعمار الأوروبى مقارنة بالإستغلال الصينى يبدوا حميدا " لأن الصينين أصبحوا معروفين بانهم يستخدمون القروض من أجل الهيمنه طويلة الأجل على البلاد التي يقرضونها ولهم سوابق أصبحت حديث العالم كله!

فلقد أقرضوا دولتى سيريلانكا وجيبوتى بالمليارات وعندما لم تستطع تلك الدولتين سداد تلك المليارات في مواعيدها فكانت الشروط الصينيه مجحفه ونالت من سيادة الدولتين حيث قامت بتأجير ميناء في سيريلانكا لمدة ٩٩ عاما وفاءا لدينها وكذلك في جيبوتى حيث وصل الأمر من إستغلال ميناء بحرى إلى إنشاء قاعده عسكريه دائمه.

ولذلك وعلى الرغم من التصريحات التي تقول بأن مصر قادره على الوفاء بإلتزماتها تجاه سداد القروض بفوائدها إلا أن هناك تخوفات كبيره تجاه تضخم الدين العام والذى سيحد من قدراتها ويجعلها في مرمى نيران التحكم في الإقتصاد المصرى من الخارج كما حدث مع تركيا في أزمتها الإقتصاديه الأخيره والتى شبهها رئيسها " رجب طيب أردوغان " بالحرب قائلا " إن الهجمات التي إستهدفت الإقتصاد التركى في الأشهر الأخيره لا تختلف عن القذائف والصواريخ التي كانت تستهدف حدود البلاد " لأن إقتصاد بلاده يعتمد على القروض لتمويل المشروعات.

نريد إعتمادا على الشركات الوطنيه والبحث عن مصادر تمويل ذاتيه تحمينا من مصير سيريلانكا وجيبوتى ودول أفريقيه كثيرة تقف في الطابور منتظرة شروط التنين الصينى الذي يريد تحويل أفريقيا إلى قاره صينيه، وأن الإعتماد على إقتصادات الديون للخروج من الأزمه الإقتصاديه وإن كان يعطى مظهرا براقا للتقدم إلا أنه يبقى كفقاعه سرعان ما ستنفجر مخلفة أزمات كبرى تطال السياده الوطنيه إلا إذا كانت هناك إحترازات تحول دون الوصول إلى مرحلة الفقاعه المميته.

فإلى قادم الأيام

❋ ❋ ❋

# لماذا خرج اليسار من ثورات الربيع العربى أكثر ضعفا؟!

إن إعتقـال " لويزه حنون " زعيمـة حزب العمـال الجزائرى الـذي يتبنى الأفكار اليساريه التروتيسكيه، بجانب رموز النظام الحاكم السابق في الجزائر بتهم التآمر ضـد سـلطة الدولة والمسـاس بسـلطة الجيش، كان يمكن أن يمر بإعتبار أن فساد الأحزاب في فترات ما قبل الثورات هو شائع وجائز في غالبيه الأحزاب خصـوصـا إذا كانت متماهيه مع الأنظمه التي ثار عليها الشـعب، لكن أن يكون هذا الحزب يسـاريا ويحمل تاريخا نضـاليا طويلا وممتدا وعلى رأسـه شـخصـيه نضـاليه بحجم " لويزه حنون " فهنا يجب أن نقف ونقول ماذا حدث؟!

وفى السـودان ومع بدايات الحراك الشـعبى ضـد نظام البشـير منذ نهاية العام الماضـى وحتى سقوطه بدا أن صعودا للتيار اليسـارى والشيوعى قد أصبح لافتا للمتابعين وأصبحت شعارات اليسار جاذبه للشارع وللشباب لكن مع توالى الحوادث بعد عزل البشير فقد أصبح التراجع السمه الأساسيه لصالح قوى غير محددة الملامح والإتجاهات الإيديولجيه كقوى " التغيير " التي ينضـوى تحت لوائها أطيافا متعدده، ومع ضـغط واضـح من شـارع الإسـلام السياسى الذي وصف الثوره كمحاوله شيوعيه لخطف السودان الإسلامى ويبدوا أن هناك في دائرة الحكم من يسـاعد في هذا الإتجاه. وخفت صـوت

اليسار السودانى.. لماذا؟!

وفى عوده للوراء قليلا ومع بدايات الربيع العربى في تونس ومصر كان اليسار وشعاراته هى المحرك الأول لحركة الشارع وهو ما جعل اليسار يشعر وكأنه يحرك الأحداث والقادر على إعادة ترتيب الأوضاع في مرحلة ما بعد الثوره وقد كان هذا وهم كبير يضاف إلى أوهام اليسار الكثيره، فلم تكد تمر الشهور حتى وجد اليسار أنه ليس الحاكم أو الفاعل الرئيسى في الأحداث وأن هناك من يستغل شعاراته لتمرير أجنده معينه لم يكن من بينها وجود اليسار كفاعل أساسى في ترتيبات مرحلة اما بعد الثورة ولهذا نجد أن اليسار المصرى إختفى سريعا من المشهد كتنظيم موحد وظهرت فعاليات محدوده له ولكنه في النهايه أختصر في شخوص معينه عبرت عن نفسها بقدر ما عبرت عن تيار اليسار بعامه، وحدث مثل ذلك في تونس بل تطور الأمر إلى قتل القيادى اليسارى الكبير " شكرى بلعيد " ليعلن أن تراجع اليسار في كلا الدولتين لصالح تحالف اليمين والسلطه حتى إشعارا آخر.

ما الذي حدث لليسار العربى! ولماذا هذا الإنكفاء الذي يقوض حيوية اليسار؟

لا يمكن فهم ما حدث لليسار العربى إلا إذا توقفنا عند مراحل تطور اليسار خلال الفتره الممتده منذ فترة التحرر الوطنى في خمسينيات القرن العشرين وحتى الآن، وسنأخذ اليسار المصرى كمثال للتدليل على ما حدث لذلك

التطور. فهناك خمس مراحل أساسيه شكلت النهاية المأسويه التي يعيشها اليسار الأن.

المرحله الأولى: وهى المرحله التي تعتبر المرحله الذهبيه لليسار المصرى وهى التي كانت قبل التحرر الوطنى حيث وجد اليسار من المساحه الحركيه والإنتشـار داخل المجتمع ما جعله يعتقد بإمكانيه تغيير الأوضـاع الملكيه الإقطاعيه ولكنه فوجئ بهجوم مضـاد من القصـر الملكى وتيار الإسـلام السياسى الوليد المتعاون معه جعله يفقد مساحات لكنه لم يفقد توازنه حتى قامت حركة يوليو ١٩٢٣ والتى كان اليسـار ببعض الضـباط المنتمين له حاضرا فيها ولكن على المستوى الإيديولوجى لم يكن له اليد العليا.

المرحلة الثانيه: وتلك المرحله مثلت الجانب الأعظم تأثيرا في اليسـار المصرى، حيث دخل اليسار في صدام مبكر مع السلطه الجديده ممثلا في ضـباطه في حركة يوليو ١٩٥٢ _ خالد محيى الدين مثالا _ والتنظيمات اليسـاريه وإمتدادتها على الأرض حيث تصـادمت الرؤى والأفكار الأمميه لليسـار مع الأفكار القوميه للنظام الجديد والتى كان يراها أفكارا يمينه لا تحقق أهداف الشعوب وهو ما عجل بسقوطه بين براثن تحالف السلطه مع الإسـلام السـياسـى وزج به إلى غياهب السـجون، ذلك التحالف الذي سرعان ما إنفك عراه ولحق الإسلام السياسى باليسار في غياهب السجون أيضـا. وقد عبر الرئيس " عبد الناصـر " عن تلك المرحله بقوله " إن

الشيوعيين عندهم أفكارا جيده لكنى أختلف معهم في أمرين، الأول موقفهم من الدين والثانى الأمميه التي تتجاوز الوطنيه "

ولكن حدث تطور لافت داخل السجون حيث حدثت نقاشات بين التنظيمات اليساريه بجميع أطيافها فيما يمكن أن نطلق عليها " المراجعات الفكريه " والتى كانت من نتائجها أن إنضمت تنظيمات يساريه وشخصيات لها صقلها في اليسار إلى التنظيم السياسى لنظام يوليو ٥٢ " الإتحاد الإشتراكى " وهو ما مكنهم من تولى وزرات داخل النظام الناصرى وكانت حجتهم أمام من رفض من اليسار الإنضمام إليهم أن نظام الرئيس " عبد الناصر " حقق جزءا كبير مما كنا نحلم به وأننا بإنضمامنا إليه نستطيع تغيير نظامه من الداخل لصالحنا، وكان هذا أكبر إنشقاق وأكبر وهم في تاريخ اليسار المصرى سيظل يعانى منه حتى النهايه.

المرحله الثالثه: وهى التي بدأت مع تولى الرئيس " السادات " الحكم والذى دشن لمرحله جديده في التعامل مع اليسار الذي ظن وهما أنه قادر على ترويض الرئيس الجديد بعد رحيل " عبد الناصر " القوى الذي إستطاع لجمه بالتعاون مع الإسلام السياسى في البدايات، وكانت حجة اليسار في ذلك أنه بعد أن فرغت الساحه من تيار الإسلام السياسى القابع في السجون منذ عهد عبد الناصر، فقد أصبح قوة كبيره تحرك الشارع والطلبه والعمال وقد كانت مظاهراتهم قبل حرب أكتوبر ٧٣ إختبار صعبا لرئيس لا يجد غير

فصيل سياسى واحد قادر وفاعل ولا يقف إلى جانبه، مع إنتصار أكتوبر٧٣ تغيرت الأوضاع وأصبح السادات قويا يمتلك شرعيه جديده ولكن ينقصه فصيل سياسى يسيطر به على الشارع ويحجم تنامى اليسار والقوميين فكان أن أعاد إنتاج حالة الإسلام السياسى الذي أطلق سراحه من السجون بل وشارك في صنع فصائل جديده وماهى إلا سنوات معدوده حتى بدأ إنحسار اليسار تحت وطأة تحالف السلطه وتيار الإسلام السياسى، وكان من نتيجة ذلك إنقساما آخر لليسار لا يقل خطورة عما حدث أيام " عبد الناصر " فقد ظهر فصيل يسارى يقول بمبدأ توفيقى جديد يجمع ما بين الأفكار اليساريه والأفكار الدينيه فيما عرف " باليساريه المؤمنه " ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل أن كثيرا من شباب اليسار إنضموا إلى تيار الإسلام السياسى الأكثر راديكاليه مثل عاصم عبد الماجد، وعصام درباله اللذين ينحدران من أصول يساريه واللذين إنضما إلى الجماعه الإسلاميه وكتبا فيما بعد بحثا بعنوان " القول القاطع فيما إمتنع عن الشرائع " والذى دشنا فيه ما عرف بسياسه " كنس السلم " من أعلى والتى أدت إلى العنف ضد الدولة. وعلى الرغم من تحول اليسار بجميع أطيافه إلى حزب سياسى " التجمع الوحدوى " إلى أنه قد فقد كثيرا من الدماء والحيويه جعلته مع نهاية عصر السادات منهكا لدرجه كبيره.

المرحله الرابعه: والتى شكلت صعودا كبيرا لظاهرة الإسلام السياسى على مستوى المنطقه العربيه والعالميه والتى لعب فيها هذا التيار دورا كبيرا في

تشكيل سياسات عبر تحالفات مع أنظمه محليه وعالميه، وتلك الفتره بدأت في نهاية عصر السادات لكن شهدت أوجها في عصر " حسنى مبارك " وهذه الفتره شهدت تراجعا كبيرا لليسار بعدما إعتمد نظام " مبارك " على إطلاق يد الإسلام السياسى في الشارع عبر سياسه " الحكم لنا والشارع لكم " والتى كان من نتيجتها أن تقلصت مساحة اليسار أكثر فأكثر تاركا الساحه أمام تحالف السلطه وتيار الإسلام السياسى وأصبح لا حول له ولا قوه على الرغم من ظهور أحزاب كثيره تنضوى تحت الفكر اليسارى ولكنها جميعا ليس لها وجود مؤثر على أرض الواقع، مما جعل معظم الأحزاب اليساريه ورموزها الحزبية تتماهى مع النظام الحاكم لعل وعسى تقاوم التراجع المخيف لشعبية اليسار في الشارع المصرى. ومع نهاية عصر " مبارك " وفى أحداث المحله الكبرى ٦ إبريل ٢٠٠٨ والتى كانت إيذانا بنهاية نظام مبارك ظن الجميع أنها عوده قويه لليسار ولكن للأسف كانت لا تعدوا كونها تدشين لقوى جديده من الشباب إستطاعت بعد أقل من ثلاث سنوات أن تتطيح بمبارك ونظامه.

المرحله الخامسه: وهى المرحله الحاليه والتى تلت ثورات الربيع العربى حيث يعانى اليسار المصرى من عوارض الإنقسامات التي حدثت بعد ثورة يوليو ٥٢ ونظام الرئيس " عبد الناصر "، والإنقسامات والإنشقاقات التي تمت في عهد " السادات " تحت وطأة تحالف السلطه وتيار الإسلام السياسى التي وصلت إلى الحد أن ينضم شباب اليسار إلى تيار الإسلام

السياسى في ظاهره لم يجد لها أحدا تفسيرا حتى الأن وأصبح سؤال " لماذا يتحول اليساريين إلى تيار الإسلام السياسى دون غيره من التيارات الفكريه الأخرى؟ " سؤالا بلا إجابه إلى يومنا هذا. وكذلك فتره التماهى مع السلطه الحاكمه أيام مبارك والتى شهدت تضييقا كبيرا عليه من أجل البقاء على الساحه وإعتبار هذا التماهى نوع من المقاومه ضد تيار الإسلام السياسى. كل هذا مغلف بغياب طويل لليسار عن الشارع المصرى نتيجة فقر تمويله والذى حد من حركته وإكتفاءه بترديد وترويج شعاراته فقط والتى كانت لا تسمن ولا تغنى من جوع أمام نشاط إجتماعى واسع لتيار الإسلام السياسى الذي يحمل الملايين والمليارات التي مكنته من الإستحواذ على مساحة شاسعه من الشارع المصرى مكنته في النهايه من ترويج أفكاره وأيديولويجيته جعلته في صدارة المشهد بعد ثورات الربيع العربى.

بعد هذا السرد للمراحل الخمسه يطفو على السطح تساؤلا " أين اليسار الآن؟! "

الإجابه محزنه إن اليسار الأن يستخدم كمبرر إيديولوجى للصراع بين السلطه الممتده منذ حقب قديمه وتيار الإسلام السياسى الذي تجرأ على تخطى قواعد اللعبه المستقره منذ سنوات طويله، فنرى السلطه في الجزائر تقدم رئيسة حزب العمال اليسارى للمحاكمه ليس كنهاية لفترة تعاون بينهما بل إرضاءا ومغازله لتيار الإسلام السياسى الذي تريد السلطه من خلال

ذلك منع الصدام معه كما في العشريه السوداء في تسعينيات القرن الماضى. وفى السودان نرى سلطة المجلس العسكرى الإنتقالى تقول بأنها رفضت مقترحات قوى التغيير ويصر أن يجعل من الشريعه الاسلاميه مبدأ أساسى للتشريع ليس حبا في الشريعه ولكن لمغازلة تيار الإسلام السياسى وتحجيما لدور اليسار وقوى التغيير الذين أطاحوا بنظام البشير.

اليسار يعانى جراحا عميقه أقعدته على فراش الموت في فتره تاريخيه مفصليه، وتحول لمجرد شخوص تظهر هنا وهناك على كامل مساحة الوطن العربى وهى رموز لا تعبر في كثير من الأحيان إلا عن نفسها، وشباب اليسار حائر لا يجد إجابات واضحه عما يجرى أمامه من أحداث.

هل يعود اليسار إلى مكانته الطبيعيه داخل منظومة الأفكار داخل المجتمع مرة أخرى؟! على المدى القريب أشك!!

❊ ❊ ❊

# مجتمع الحرام.. أزمة وطن !!

مع إنتهاء أحداث الفيلم المصرى " الحرام " عن قصه بنفس الإسم للكاتب الكبير " يوسف إدريس " حتى يأتى صوت الفنان الراحل " حسين رياض " معقبا على نهاية أحداث الفيلم قائلا:

" وعادت عزيزه جثة هامده، ولكن الناس ظلوا يتساءلون هل هى خاطئه غسلت بالموت عارها؟ أم شهيده دفعتها خطيئتها إلى خطيئة أخرى "

عزيزه! تلك الفلاحه الفقيره المعدمه التي إتخذها الكاتب نموذجا صارخا للحكم على مجتمع ظالم يكيل بمكيالين! مجتمع لم يرحم الفقراء منه، ومارس عليهم نفس فعل الأغنياء معه، ولم يرحم فقرهم وثيابهم الباليه ورائحه الفقر التي تفوح منهم، والبطاله التي يرزحون تحت نيرانها يرجون قروشا قليله تقيهم الجوع والعوز

لقد كانت خطيئتها أنها فقيره أوقعها فقرها وجوعها في خطيئة الزنا الذي أجبرت عليه إغتصابا من قبل أحد ملاك الأراضى الصغار والذى كانت تبغى من أرضه " سرقة " جذر بطاطا ليسد جوعها هى واسرتها المكلومه فقرا ومرضا، ولكن هذا المالك غفر لها سرقة جذر البطاطا ولكنه أخذ منها شرفها غصبا عنها،

ومع مرور الأيام يشتد خوفها من فضيحة الحمل الذي حاولت جاهدة

التخلص منه ولكن يأبى جنين الحرام أن يسـقط إجهاضـا، سـافرت مع من على شـاكلتها من أبناء " الترحيله " تلك العماله التي لا تملك من حطام الدنيا إلا عافيتها يؤجرونها لمن يدفع لهم قروشـا زهيده لا تسـاوى حجم الإهانه ولا المجهود المبذول وسـط مجتمع ريفى لا يقل سـاكنوه ظلما عن أسياده الباشا والبيه.

وهناك في تلك القريه البعيده وضـعت مولودها طفل الحرام ولكنها كتمت أنفاسـه خوفا من الفضـيحه، ولكن تأبى الفضـيحه إلا أن تبدأ ويبدأ معها الكشـف عن مجتمع ظالم يمارس مع نفسـه فعل الجلد الذي تعود عليه من أسياده عبر التاريخ، فمع ظهور جثة الطفل الرضـيع حتى بدأ الجميع يبحث عن أم المولود الخاطئه التي لوثت شرف مجتمع ظاهره شريف وباطنه ينخر فيه السـوس، وطالت الحكايات والإشـاعات كل نسـاء القريه، وتحدث الجميع في سـلوكيات النسـاء كلها، وظهر من خلال الحكايات أن هذا المجتمع فاسد يبحث عن ضحيه يعلق عليها كل أوزاره، حتى ظهرت عزيزه بنت أبناء الترحيله مريضه منهكه وسط الحقول هنا عرف الجميع أنها هى أم الرضـيع المقتول، هنا تحول المجتمع إلى جلاد ليس لها فقط بل لبنى جلدتها من الرحاله لأنهم الأقل وزنا وقيمة منهم أصـحاب الشـرف الرفيع، يريدون من وراء ذلك طمس كل الحقائق التي يعلموها عن أنفسهم ولكن لا يريدون التصريح بها.

ومع توالى الأحداث تموت عزيزه بحمى نفاسـها قرب الشـجره التي قتلت رضـيعها تحتها، ويتجمع الجميع حولها ويقررون إعادتها إلى قريتها لتدفن بين أهلها، ورجع كل شئ إلى سابق عهده.

ولكن مع إندلاع ثورة يوليو ١٩٥٢ تحرر بنى جلدتها من الترحيله من أسـر عبودية المجتمع وأصبحوا ملاكا وتساووا مع أبناء مجتمعهم الذين أذاقوهم الذل والإهانه ليس لسـبب كبير غير أنهم ليس لديهم حتى ولو قيراط أرض واحد في الوقت الذي يقعون هم تحت ذل كبار الملاك ( عبيد يضـطهدون عبيد )

ولكن الملفت للنظر بعد أن تغيرت النظره المجتمعيه بين الفلاحين والترحيله أن تحولت الشجره التي ماتت تحتها عزيزه وطفلها رمز الخطيئه، إلى مزار لكل نسـاء القريه وجوارها يتبركون بها من أجل البحث عن الولد، وتناسـى الجميع الفرق بين الخطأ والخطيئه بعدما إختلفت نظرة المجتمع للحدث.

لا شـك أن ثورة يوليو قد سـاهمت في القضـاء على النظره الفوقيه بين الناس في المجتمع إلى حين! ولكن هذه النظره الفوقيه عادت تدك مكتسـبات شـعب كافح من أجل حياة العداله الإجتماعيه، وهاهو المجتمع المصـرى ينزلق نحو مجتمع الحرام كما لو كنا لم نخطو خطوة واحده منذ قيام ثورة ١٩٥٢، فأصـبح المجتمع جزرا منعزله الكبار ورجال الأعمال في مزراعهم

وقصورهم المحاطه بأسوار عاليه، مفصولا عن بقيه مجتمع يمارس الحرام الإجتماعى والإضطهاد الممنهج لكل ما هو فقير في هذا البلد، الفقير أصبح هو المهان وأنه سبب كل الكوارث لمجرد أنه ليس لديه ما يسد رمقه، لذلك فعليه أن يسـدد فواتير مجتمع دب فيه العفن، لا يريد أن يعترف بأخطاءه ولا خطاياه يمارس غسيل عاره الإجتماعى وينشره على أجساد الفقراء فقط، من أصـحاب المهن المتواضـعه والمعدومين الذين يمارس ضـدهم أبشـع الجرائم الإجتماعيه من تهميش ونهش لأعراضـهم، وأصـبحوا هم ترحيلة مجتمع لا يعلم هل هو مجتمع إشـتراكى! أم مجتمع رأسـمالى؟ ولكنه يعلم جيدا بفعل موروثه التاريخى كيف يأكل نفسـه بنفسـه ولا يقدر على تغيير واقعه إلا إذا جاءت قوه جباره تصحح مساره.

إنها أزمه مجتمع يبحث عن وطن جديد بموروث قديم.

❋ ❋ ❋

# الخواجا والحاج.. أزمة مصر الحاضر والمستقبل

هل تعرفون ما هو المجتمع " الكوزموبوليتى "، هو " مجتمع ينتمى أفراده لأماكن مختلفه يرتبطون بعلاقات إحترام متبادل بغض النظر عن معتقداتهم أو أرائهم السياسيه " _ ويكيبيديا _

من في مصـــر الأن لا يريد أن يعيش في هذا المجتمع المتناغم في تنوعه بعيدا عن الخلافات على كـل الأصـــعده الســياســيه والـدينيه والإقتصــاديه والإجتمـاعيـه من منـا يـدرك أن هـذا المجتمع كـان موجودا على الأرض المصرية وتعايش معه المصريين طويلا وكان دليلا على ديناميكية الشخصيه المصرية التي تقبل الآخر.

كنت في بداية حياتى العمليه أعمل في منطقة " الصـــاغه " في قلب القاهرة، وهو مكان خاص بتجار الذهب والمجوهرات، وهو مجتمع خاص بنفســه له لغه خاصــه وتقاليد متعارف عليها منذ القدم، وكنا نتداول ســير الصــناع المهره من اليهود الذي كانوا يقيمون في مصـر والتجار المسـيحيين والتجار المسـلمين، وهذا كان يثير حسـاسـيه بالنسـبه لى بسـبب التأكيد على هوية التاجر الدينيه وهو ما دفعنى للبحث في تلك المسأله خصوصا وأن المسأله وصلت للإشاره للتاجر المسلم بـــــ " الحاج "، والتاجر المسيحى بـــ " الخواجا ".

فى الحقبه المملوكيه كـان يطلق على التجـار لقب " خواجا " والـذى كـان

يطلق على كبار التجار من الأعاجم غير العرب، والذى بمرور الوقت تحول اللقب إلى معنى " المعلم " أى الأسطى الحرفى في مهنته، حتى أن المدرس في بداية القرن العشـرين في مصـر كان يطلق عليه لقب " الخوجه " للدلاله الحرفيه. ولكن لسبب ما ومع الإحتلال الإنجليزى لمصر تم رد اللقب إلى أصله وأصبح يطلق على التجار الأجانب في مصر بل ويطال كل الأجانب في مصر.. حتى قامت الثوره المصرية ١٩٥٢ وبدأ الآجانب يخرجون من مصر وبدأ إنحسـار اللقب ولم يعد يذكر إلا على سـبيل التذكره والإشـاره للتجار الأجانب وخاصة اليهود منهم فيما مضى. ولكن ما أن دخلت مصر في حقبة نهاية السبعينيات حتى ظهر المصطلح مرة أخرى ولكن ليس للدلاله الحرفيه أو للدلاله على نزعه وطنيه ضـد الأجانب بل للتفرقه بين التاجر المسـلم والتاجر المسـيحى ولكنه منحصـر في منطقه الصـاغه فقط. وتحول الخواجا من مصـطلح له معنى وطنى وحرفى إلى الإشـارة الدينيه في مواجهة " الحاج " وهو لقب دينى آخر ليس له دلاله تجاريه.

من الذي حرف المصـطلح؟ ماهو هدفه؟ من أراد أن يخنق التنوع وخلق بيئه متنافره؟

إن أزمة المصـطلح في مصـر كبيره!! إنها تعبر عن تدهور في حالة التنوع في المجتمع المصـرى، ذاك المجتمع الذي كـان يتعـايش فيه الجميع، منفتح يتقبل الآخر، لكنه أدمن في عصـرنا هذا فكرة التجزئه والبعد عن الكليات،

وفكرة مواجهة الخارج بالتنوع الداخلى إلى مواجهه نفسه داخليا بشراسه كلا في مواجهة الآخر على خلفيه التدنى في كل شئ إقتصاديا وسياسيا وإجتماعيا.

لعل البعض يعتقد أن هذا المقال يعالج ما يعرف بالأزمه الطائفيه في مصر، لا!! ولكنه يعالج جذور ما علق في العقليه المصرية من غياب التنوع والإبداع، مجتمع أراد له البعض أن يكون هامشيا فظا غليظ العقل لا ينظر إلى المستقبل يحاكم الحاضر بالماضى ويخاصم المستقبل، يلوى الحقائق لويا قصريا ليطوعها لتبرير واقع متخلف، ويجعل الكل في مواجهة الكل!!

من قال بأن الخواجا هو معنى قاصر على التنوع الدينى وليس الحرفى؟؟ ومن قال بأنه هو المواطن المسيحى في مواجهة أخيه الحاج المسلم؟! من يريد أن ينزع فكرة المبدع والمعلم والأسطى الماهر عن المصطلح ليجعل العقل مغيبا خارج العصر يتخذ من تعريفات تاريخيه وأحداث بعينها لتبرير أحداث حاليه وليبرر أيضا العجز في مواجهة المستقبل وأدواته؟!

الماضى هو مرآة للحاضر وعبرة للولوج للمستقبل، ولكن هناك من يريد أن يلوى حقائق الماضى وأن يطوعها للتمترس حولها في الحاضر ليقول لنا " ليس في الإمكان أبدع مما كان "، لأنه ليس لديه حلول للمستقبل، يريد أن يظل المجتمع جاهلا متحفزا دائما ليس للمستقبل ولكن للإحتراب والخصومه، إننا نريد مجتمعا متنوعا يقبل الجميع ليس لديه خصومه مع

ماضــيه، وحاضــر يأخذ العبره من الماضــى ولا يقف عندها ناظرا إلى المسـتقبل أكثر من الماضـى متجاوزا ما علق في الأذهان من مظاهر التخلف الحضارى التي تهل علينا بين الفينة والأخرى من بين طيات الكتب التاريخيه التي تؤجج الصراع وتخاصم المستقبل

دعونا نتصــدى لجحافل التخلف في كل المجالات من أجل مجتمع متنوع يقبلنا جميعا دونما تفرقه، لأن المجتمع المخاصم للمستقبل هو الأقل تنوعا الـذي يختنق من فكرة التعـايش الـداخلى فمـا بـالك من فكرة التعـايش مع الخارج

❊ ❊ ❊

# المواطن الضفدعة

فى العام ١٨٦٩ قام العالم الألمانى " فريدريش جولتس " بإجراء تجربه علميه بإحضاره مجموعه من الضفادع ووضعهم في إناء ماء درجة حرارته ١٧ درجه مئويه ثم قام بتسخين الإناء بطريقه سريعه ومفاجأه إلى أن وصلت درجة حرارة الماء إلى ٢٥ درجه مئويه فبدأت الضفادع تتقافز إلى خارج الإناء بسبب درجة الحراره العاليه المفاجئه ولم يتبقى في الإناء غير الضفادع التي تم نزع أمخاخها. وبعد ثلاث سنوات قام عالم ألمانى آخر إسمه " هاينزمان " بإجراء نفس التجربه ووضع الضفادع في إناء ماء درجة حرارته ٢١ درجة مئويه، ثم قام بتسخين الإناء بوتيره بطيئه حتى وصلت حرارة الماء داخل الإناء إلى ٣٧ درجه مئويه وأكتشف أن الضفادع لم تقفز خارج الإناء سواء السليمه أو المنزوعة الأمخاخ منها، مع العلم أن درجة الحراره كانت أعلى من حرارة من التجربه السابقه وقد تودى بحياة الضفادع!! ما السبب في ذلك؟

إنها آفة التأقلم مع أوضاع سيئه تصل إلى حافة الموت لمجرد عدم القدره على إتخاذ القرار في الوقت المناسب حتى ولو إمتلكت القدره العقليه والإدراكيه متميزه عن غيرها. وهذا يفسر الحاله الإدراكيه والنفسيه للمواطن العربى تجاه ما يسمى " بصفقة القرن " والتى يستهدف منها ليس فقط تصفية القضيه الفلسطينيه ولكنها عملية تدجين كامله للمواطن العربى من أجل

السيطره الكامله على موارد ومقدرات المنطقه العربيه، ولم تكن تلك الحاله المزريه التي وصــل إليها المواطن العربى إلا بســبب مروره بعملية تأقلم معقده ومدروسه مورست عليه من قبل قوى إستعماريه بمساعدة قوى من الداخل العربى كتلك التي مورست على الضــفادع، فقد أصــبح الغرب يمارس على العقليه العربيه كل أنواع التجارب النفسـيه فهو يعلم كيف يتعامل مع عقليه تعشق التأقلم والإستقرار بسبب سياسات إستبداديه قمعيه جعلتها بمرور السنوات غير قادره على القفز خارج الإطار المرسوم لها.

فى البدايه لم يكن الإعلان عن صفقة القرن إلا تسخين مفاجئ للإناء العربى تقافز بسببه القليل مما له عقل ويعلم خطورة تلك الصفقه، ومع توالى الأيام بدأت وتيره التســخين تقل حدتها وظهر الســجال بين من يدرك أبعاد الموضوع وبين من ليس لهم أمخاخ المتأقلمين مع أى وضع، وظن الجميع تحت وتيرة التسخين البطئ في الإعلام العربى أنها صفقة لن تمر بسبب أنه لا تنازل عن الأرض التي روتها دماء الشهداء، وتناسى الجميع أن الصفقه ليســت تبادل أراضــى فقط بل إنها مشــروع كامل لتغيير العقليه الإدراكيه للمواطن العربى الذي أصــبح يتعامل مع صــفقة القرن بمنطق الضــفدع المتأقلم يرى كل شئ يتغير بسرعه وأصبح العدو صديقا والصديق عدوا، وظهرت المليارات تبشرة بأنهار من اللبن والعسل والخمر ومشاريع ضخمه ترفع من مستواه الإقتصادى كما الماء في إناء الضفادع ولن يدرك خطورتها إلا عندما تزداد فاتورة تسديدها بعدما يكون قد فات الأوان وأصبح كل شئ

متاح على كامل المساحه العربيه لأعداء تلك الأمه المكلومه.

فهل يفيق المواطن الضفدعه من أسر آفة التأقلم والإستقرار الطويله ويقفز خارج إناء التجارب الغربى ويثور ويغير ويمتلك قراره؟! على المدى القريب والمتوسط أشك؟! ربما أجيال جديده من الضفادع تستطيع.

❊ ❊ ❊

# الحسنة تخص والسيئة تعم

إن من أبشع الموروثات في حياتنا اليوميه في مصر القاعدة الأزليه التي تقول " الحسـنه تخص والسـيئه تعم " تلك القاعده التي أسـاءت كثيرا سـواء لمن يطبقها أو من تطبق عليه ولكن في المقابل نراها تلقى رواجا شـعبيا عبر ترديدها وتطبيقها وكأنها من المسـلمات التي لا يجوز الخروج عنها وهى تشبه التجربه النفسيه الشهيرة المسماه " بالقرود الخمسه " والتى تتمحور حول الإتيان بخمسـه قرود في كامل صـحتها ووضـعها في قفص كبير مغلق معلق في سـقفه حزمه من الموز وضـع تحتها سـلم وبمجرد أن يحاول القرد الأول أن يتسـلق السـلم لنيل الموز تطلق عليه دفقات من الماء البارد القوى لحد الألم ليس عليه فقط بل على الأربعه الآخريين ومع تكرار المحاوله من القردة الآخرين الواحـد تلو الأخر تنهمر المياه البـاردة القويـه المؤلمـه لتمنعهم جميعا عن الفوز بالموز حتى تأتى اللحظه التي يقرر فيها القردة أن محاولة أى قرد فيهم التسـلق سـتكون بمثابة عقاب جماعى لهذا فكان إذا ما قرر أحد القردة تسـلق السـلم كان القردة الآخرين يقومون بمنعه بالقوة خوفا من العقاب الجماعى وهكذا إسـتكانت القردة في أرضـية القفص وماتت عندها روح المغامرة، وبعد ذلك تم سـحب أحد القرده بقرد آخر لم يمر بالتجربه فإذا به يسـتكين ويجلس ولا يتحرك مع سـكون القردة الآخرين في القفص وبإستبدال القردة الآخرين الواحد تلو الآخر وجد أن القردة الجديدة

التي لم تمر بالتجربه إطلاقا ظلت ساكنه ولم تتحرك وهكذا ببساطه يتم ترويض العقل الجمعى للقرده والتحكم في سلوكها عبر تعميم فكرة أن السيئه هى عقاب جماعى لمن يخرج عن الإجماع أو القواعد التي وضعت داخل إطار قفص القرود.

ولكن أين الحسنه في تجربة القرود الخمسه؟ الحسنه هى الموز المعلق في سقف القفص يتمناها قرود تخاف العقاب ولا تجرؤ على تسلق السلم وتنتظر أن يدنيها صاحب القفص إلى أفواهها أو أن يسمح لقرد منهم أن يتسلق لكونه مطيع وبيسمع الكلام حتى ما أن يخالف القواعد حتى يتم عقاب الجميع، وللأسف تشابه حالة القرود الخمسه مع بيئة العمل في مصر يثير كثير من التساؤلات المحيره التي تصب كلها في إتجاه واحد وهو لماذا إذا أخطأ أحد الموظفين أو العمال يتم العقاب الجماعى؟ وحين يتم إنجاز معين يتم تمييز رأس العمل فقط وكأنه قد قام بالعمل بمفرده؟! وهو ما أدى في نهاية المطاف إلى قتل الإبداع والخوف من الإقتراب من مناطق بعينها في بيئة العمل إلى الحد الذي إذا ما تجرأ أحد العمال والموظفين وحاول أن يخالف القواعد الموروثه المستقاة من فكرة العقاب الجماعى نجد زملاؤه في العمل يحاولون إعاقة حركته بل يصل الأمر إلى إستباق الفكرة الإبداعية ومحاولة وأدها عند الإدارة وهو ما يؤسس لسلوك جديد ناجم عن العقاب الجماعى وهو بروز الموظف المثالى الذي ترضى عنه الإدارة الذي يحافظ على اليافطه المعلقه على باب الإدارة المكتوبه بالنيون " الحسنه تخص

والســيئه تعم " والذى يذكر بها العاملين كل يوم حتى يحافظ على إلتصــاق الموظفين بكراسى المكاتب ويؤجل الإبداع لزمن آخر لأجيال تستطيع كسر تلك اليافطه وتحرر القرده من القفص.

مصر تحتاج إلى نسف قواعد إداريه وثقافيه ترسخت منذ عقود طويله حتى تستطيع أن تصل إلى المستقبل على يد المبدعين من أبناءها.

❊ ❊ ❊

# هل ماتت دولة يوليو ١٩٥٢؟؟ حوار على صفيح بارد

فى مايو من العام ٢٠١٤ أجرى المرشح الرئاسى عبد الفتاح السيسى حوارا مع قناة " سكاى نيوز العربيه " وقال حرفيا " إن حرب ٦٧ هى ضياع الحلم المصـرى، وأن حرب ٧٣ هى إسـترداد جزء مما ضـاع ".. ثم مضـى في تصريحاته إلى أن قال " أن ثورة ٢٥ يناير هى نقطة إنطلاق نحو المستقبل " وأضاف " وأن ثورة ٣٠ يونيو تعتبر إستكمالا لمسار ٢٥ يناير "

ولكن في مايو ٢٠١٦ وبعد عامين صرح الرئيس عبد الفتاح السيسى قائلا " إحنا مش في دوله بل شبه دوله "..... _ جمله إعتراضيه _ " إصرار المجلس العسـكرى بعد إندلاع ثورة ٢٥ يناير على الإحتفال بثورة يوليو كان مثار لدهشـة البعض!! بل وضـعه البعض في سـياق آخر ربما نكتشـفه سـويا عبر سطور المقال!!!

فى مصـر نعشـق الوصـف الإصـطلاحى ولا نعير لمدلولاته على الأرض أى إعتبار لهذا نرى الناس " سـكارى وما هم بسـكارى " من أثر الإنتشـاء والمعارك الوهميه حول المصطلح.

بعد أن قام الجيش بـــــ " حركته المباركه " في يوليو ١٩٥٢ بتأييد واسع من قطاعات الشعب المصرى ظهرت الحاجه لمدرسه وصفيه تعيد صياغة ما تم وما سيتم مستقبلا، فظهرت مدرسة " محمد حسنين هيكل " التي صالت وجالت وصـفا لكل شـئ والتى تأثرت بالأفكار الغربيه بالأسـاس، فهو

صاحب مصطلح " شرعية يوليو " والتى أراد من خلاله التفرقه بين الدولة وشرعية النظام السياسى الحاكم لها وهو مصطلح كان كالفخاخ الجاهزه التي تستخدم في مراحل بعينها

بعد نكسة ٦٧ قال هيكل بأن " شرعية يوليو " إنتهت والتى أظهرت أن هناك صراعا مكتوما ظهر جليا على وقع الهزيمه العسكريه من أن هناك صراع بين النظام السياسى بقيادة الرئيس عبدالناصر وبين القوات المسلحه بقيادة عبدالحكيم عامر التي ترى أنها حامية الدولة والنظام السياسى. وبعد حرب أكتوبر ٧٣ صك هيكل مصطلحا آخر لتوصيف شكل النظام السياسى ألا وهو " شرعية أكتوبر " الذي إستمر إلى عهد الرئيس السابق مبارك. إلى أن قامت ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وتحدث هيكل ووصف وصال وجال ولكنه لم يصل إلى أهم مصطلح قيل بين ثنايا الصراخ الجماهيرى في الميادين وهو مصطلح " الجمهوريه الثالثه " من صكه؟ وماذا وراءه؟ ومن صاحب المصلحه من إختفاءه؟

إن مصطلح " الجمهوريه الثالثه " حاول أن يصل إلى لب القضيه المصرية منذ يوليو ٥٢ وهو من يحمى الدولة؟ ومن هو قادر على الوفاء بمتطلبات إستمرارها؟. مبتعدا عن مصطلحات هيكل التي دائما ما تصف من بعيد مبتعده عن المساس بالعلاقه الشائكه بين المؤسسه العسكريه والنظام السياسى.

الجمهورية الثالثه أراد أن يركز على النظام الجمهورى كلا متصلا وأن الدولة المصرية قد تطورت إلى مفهوم جديد بعد نكسة ٦٧ من حماية الجيش للنظام السياسى وظله إلى مفهوم حماية الدولة وهو ما ظهر جليا في مصطلح هيكل وشرعية أكتوبر والذى لم يرد ان يشير صراحة إلى أن هناك مفهوم جديد للسلطه في مصر نظام ودوله. والذى ظهر جليا في رفض الجيش قمع المتظاهرين في أحداث ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧ ورضخ ساعتها النظام السياسى لصوت الشعب، وظهر في أحداث الأمن المركزى ١٩٨٦، وظهر بوضوح وجليا في أحداث ثورة ٢٥ يناير وما بعدها بعد إنهيار النظام السياسى

ما بين حديث الرئيس السيسى عن " ضياع الحلم المصرى في ٦٧ " وبين " إسترداد جزء منه في ٧٣ " .. وما بين مصطلحات هيكل عن " شرعية يوليو " و" شرعية أكتوبر " سالت أقلام وسودت آلاف الصفحات بحثا وتنقيبا عن الخبايا والاسرار وراء المصطلحات وما تحتويه كلها تقريبا لم تستطع النفاد إلى لب الحقيقه وهى ماهية " دولة يوليو " بالأساس؟ أهى النظام السياسى الناصرى ولا الساداتى ولا المباركى؟

دولة يوليو جاءت بأفكار تخاطب المستقبل، جاءت وغيرت وجه التاريخ الإجتماعى المصرى بالكامل وإنتشلته من نظام القرون الوسطى الطبقى. ولكن؟

نحن على بعد أيام قليله من الإحتفال الـــ ٦٦ بثورة يوليو ١٩٥٢ يجب أن

نقف ونقول بأعلى صـوتنا، من يحكم مصـر؟ شـرعية يوليو؟ أم شـرعية أكتوبر؟ أم شرعية ٢٥ يناير و٣٠ يونيو؟ ونتذكر في خلفيه صوتنا العالى قولة السيسى " إحنا مش في دوله بل شبه دوله "، حتى نتذكر ماذا تبقى من دولة يوليو.

دولة يوليو ليسـت هى النظام السـياسـى بالضـروره حتى يكون إنكسـاره وهزيمته هو موت لتلك الدولة، إنها النظام الجمهورى وما يتبعه من أثار إجتماعيه، لهذا كان التأكيد على الإحتفال بتلك الدولة والإصـرار عليه بعد قيام ٢٥ يناير من قبل المؤسسه العسكريه في إشاره لم يفهمها الجميع في حينها.

دعونا نتحاور على مفهوم دولة يوليو ليس إصـطلاحا بل ككيان قائم. وأن كل رئيس أتى من خلالها هو رئيس في دولة يوليو شاء من شاء وأبى من أبى، ونطرح سؤالا دقيقا هل ماتت دولة يوليو؟ أو قاربت على الإنتهاء وأصبحت هناك حاجه لضخ الدماء فيها من جديد؟

دعونا نتحاور وأن لا نقف في مواجهة بعضـنا البعض ونحن وقوفا على صفيح ساخن عراة الأقدام

❊ ❊ ❊

# رؤية مصرية لموقعة كربلاء

وسط أطنان من الكتب والملايين من الآسئله الحائرة التي سالت بها ومن خلالها أنهار من الأحبار والدماء على كامل مساحة التاريخ الإسلامى، تطل علينا بين الحين والآخر موقعة كربلاء التي قتل فيها الإمام الحسين وقطعت رأسه وقدمت بين يدى الخليفة يزيد بن معاويه مشفوعة بصيحات وصرخات ونواح نساء آل بيت النبوة اللائى أسرن في المموقعه، وبعدها طافت الرأس الشريف على بلدان عديدة لتعلن دولة يزيد الأمويه أنها إنتصرت نهائيا على من إعترض طريقها، وبعدها إختفت الرأس الشريفه وتحولت إلى أسطوره وأقيمت لها المراقد الدينيه في بلدان عديدة كلها تؤكد أن الرأس بها، ولكن مع إختلاف البلدان التي بها تلك المراقد أختلف حول مقتل الحسين وتدخلت المذهبيه الدينيه لتزيد من عمق الخلاف بين المسلمين حول الرأس والجسد وحول شخص الحسين نفسه!! ولما كانت السياسة حاضرة في الدين الإسلامى منذ البدايات الأولى فقد تحول الإمام الحسين إلى ماده دسمه للخلاف السياسى بين الفرقاء في داخل الدولة الواحدة على طول إمتداد العالم الإسلامى تطرح أسئله كثيره ولا تقدم إجابات واضحه اللهم إذا كانت تصب في مصلحة من يتصدى للإجابه عليها من الفرقاء!!

من قتل الحسين! ولماذا قتله؟ هل الحسين مات شهيدا أم مقتولا؟ هل كان

خروج الحسين على يزيد بن معاويه خروجا على الحاكم؟ هل تعاون الحسين مع معاويه بن أبى سفيان؟ إلى آخره من الأسئله الكثيرة والمتعدده التي لها إجابات وإجابات مضادة على جانبى الخلاف المذهبى والسياسى بين المسلمين، ولكن ما يعنينا هنا هو الغلبه الواضحه لجوانب من الحدث الكربلائى على جوانب أخرى لا تقل أهميتها بل تعتبر الأساس الذي أوصلنا إلى مذبحة كربلاء وما بعدها من خلاف إلى يومنا هذا.

من يعرف الإمام الحسن؟

إنه الأخ الأكبر للإمام الحسين والذى نودى به خليفه على المسلمين بعد وفاة والد الخليفة على بن أبى طالب، وكادت الحرب توشك أن تقع بينه وبين معاويه بن أبى سفيان على خلفية مناصرة أهل العراق له والذين أراد قطاع كبير منهم محاربة معاويه والقضاء عليه، لكن الإمام الحسن آثر السلم وكاتب معاويه على الصلح وكانت معاهده صلح بينهما حقنت دماء المسلمين فيها وبها وكانت أهم شروط المعاهده بعد حقن دماء المسلمين والعمل بالكتاب والسنه، هى تنازل الإمام الحسن لمعاويه عن الخلافه والبيعه له وأن تكون الخلافه من بعده له ثم لأخيه الحسين وأن لا يقضى معاويه بشئ دون مشورته، وتسليم الحسن خراجا له في بلاد فارس، وفرح المسلمين وسموا عام الصلح هذا بعام " الجماعه " والذى توحد فيه المسلمين تحت رايه واحدة متذكرين حديث الرسول (ص) في الإمام

الحسـن " إبنى هذا سـيد ولعل الله أن يصلـح به بين فئتين من المسـلمين ". ولكن كان لأخية الحسين رآيا آخر فقد إعترض على الإتفاق وشروطه لكن لحبه لأخيه الأكبر وإمتثالا له فقد وافق على الصـلح وبايع معاويه، وكان يصـل لهما الخراج والعطايا من الخليفة معاويه، وفى المقابل لم يخرج الإماميين الحسـن والحسين على الإتفاق بل أن الإمام الحسين كان ضمن الجيش الذي أرسله لفتح القسطنطينيه بقيادة إبنه يزيد!!

فماذا إذا الذي أوصل الإمام الحسين ليقتل وتقطع رأسه في كربلاء؟

إنه نقض الإتفاق والعهد!! فقبل نهاية أجل الخليفة معاويه نادى بأن تكون الخلافه من بعده لإبنه يزيد بن معاويه في نقض صريح للإتفاقيه والصلح مع الإمام الحسـن الذي مات قبله، وهو ما أعتبر توريثا للحكم لا يقبل به الإسـلام من قبل معارضـى تلك الفعله ومن ضـمنهم الإمام الحسـين الذي تهرب من البيعه ليزيد رفضا لتوريث الحكم الأمر الذي تطور سريعا وصولا لكربلاء!

وهنا تثور الأسئله مرة أخرى عنوانها وما الجديد في ذلك؟

الجديد هو أننا يجب أن لانجعل من جسـد وذكرى الإمامين الحسـن والحسـين، الذي بشـرهما الرسـول (ص) بأنهما " سـيدا شـباب الجنه "، متاريس مذهبيه ندلل بهما على صحة مواقفنا المذهبيه والسياسيه، فالحسن حقن دماء المسـلمين إتفاقا وصلحا مشـروطا، والإمام الحسـين مات دفاعا

ضد نقض عهد ولم يكن خروجا على حاكم، إن مذبحة كربلاء كاشفه ليس من ناحية الحكم والسـياسـة فقط بل يمتد أثرها إلى أبعد من ذلك، إنها النتيجه الطبيعيه لنقض العهود والمواثيق، وأنها لم تكن البدايه للملك العضوض في الإسلام بل إنها كانت نهاية محاوله يائسه للحيلوله دون وقوع الإسلام تحت براثن الحكم الملكى الوراثى.

فى مصـر يجب أن ننظر إلى كربلاء بطريقه مختلفه بعيدة عن المذهبيه السياسيه والدينيه لأن بها من الدروس العظيمه التي يجب ان نتعلمها ومنها أن نتعلم طريقه التفكير في أصل المشكله لا أن نتفرغ للتصادم والتشاحن حول تبعاتها، وأن التزامنا بإتفاق جامع بيننا يمنعنا من الإنزلاق نحو هاوية التشاحن والتصادم في كل جنبات الحياة المصرية.

رحم الله الإمامين الحسن والحسين (رضى الله عنهما ).

❊ ❊ ❊

# الفرص الضائعة في السياسة الحزبية المصرية

من يتابع السياسة المصرية منذ بدايات القرن العشرين وخاصة بعد ثورة ١٩١٩ والتى شهدت ميلادا جديدا للحزبيه المصرية المشاركه في صنع القرار يدرك أن السياسة المصرية من أكثر النظم التي أخذت بالديموقراطيه كنظام سياسى إهدارا للفرص التاريخيه التي جعلتها متخلفه تحمل ماضى وميراثا كبيرا ولكن حاضر مبهم ومستقبل تحيط الشكوك حول مجيئه.

إن السياسة الحزبية في مصر تكونت بعد فتره ليست بالقصيره على إصدار أول دستور مصرى ١٨٨٢ ومجلس شورى النواب عام ١٨٦٦ وذلك في العام ١٩٠٧ والذى شهد قيام أربع أحزاب مصرية لتواكب التطور السياسى القائم في البلاد والذى جاء متخلفا بسنوات وتلك كانت بدايه غريبه للحياة الحزبية المصرية وهو أن تنشأ المؤسسات الدستوريه والنيابيه ثم بعدها بسنوات تظهر الأحزاب وكأنها نتاج ثانوى لإصلاحات سياسيه أرادتها الدولة المصرية أنذاك.

ولكن البدايه الحقيقيه كانت بعد قيام ثورة ١٩١٩ والتى شهدت ميلاد أكبر وأقوى الأحزاب السياسيه وعلى رأسها حزب الوفد بقيادته التاريخيه الزعيم سعد زغلول والنحاس باشا فيما بعد، ومع تطورالأحداث فيما بين العام ١٩١٩ وقيام ثورة يوليو ١٩٥٢ كانت العلاقه ملتبسه بين الأحزاب فيما بينها وبينها وبين القصر الملكى شهدت أحداثا جساما أثرت على مجريات

التاريخ المصرى الحديث، ولعل العلاقه بين الأحزاب السياسة والقصر الملكى هى العلاقه الأهم لأن القصر كان يريد لعب دور المسيطر على دفة الأمور السياسيه ولا يريدها أن تنفلت من بين يديه وهو ما وضع القصر وحلفاءه السياسيين من الأحزاب المواليه والتى كانت ضعيفه في مواجهة حزب الأغلبيه الشعبيه حزب الوفد العتيد، وهو ما أضعف الأحزاب السياسيه وجعل من الحياة الحزبية وسيله للتقرب من القصر الملكى على حساب الديموقراطيه والحقوق السياسيه للمواطنين حتى جاءت الفرصه التاريخيه لبدايه جديده لرأب الصدع السياسى، فبعد قيام الدبابات البريطانيه بحصار قصر عابدين وإجبار الملك فاروق على تولى حزب الوفد مقاليد الحكومه لأن حزب الوفد قادر بشعبيته على ضبط الإيقاع الشعبى وقت الحرب العالميه الثانيه، وبدلا من أن تكون تلك الحادثه بدايه لتعاون مثمر بين القصر الملكى وحزب الوفد من أجل إعادة الحياة الحزبية السليمه في مصر لم يتقبل الملك فاروق تلك العلاقه إلا على مضض وسرعان ما تخلص من حزب الوفد وقاد حملة تشويه كبيره ضده بعد إنتهاء الحرب العالميه الثانيه وهو ما إنعكس سلبا على الحياة الحزبية المصرية وتشرذمت الأحزاب كلها تريد التقرب من القصر الملكى وهو ما أدى في نهاية الأمر إلى سقوط النظام الملكى ومعه أول تجربه حزبيه كامله في مصر مع قيام ثورة يوليو ١٩٥٢، وهكذا ضاعت أول فرصه تاريخيه لإصلاح المسار الحزبى في مصر.

وكانت الفرصـه الثانيه في العام ١٩٥٤ وبعد سـنتين فقط من قيام ثورة يوليو، وفى ما عرف بأزمة مارس ٥٤ ضاعت الفرصه الثانيه لتعديل المسار الحزبى وقيام حياة حزبيه جديده حيث إنقسـم الضـباط الأحرار إلى فريقين، الفريق الأول يريد العوده للحياة الحزبية والحفاظ على المســار الديموقراطى فيما قبل ثورة يوليومع بعض التعديلات، والفريق الثانى كان من أنصـــار هدم النظام الحزبى القديم بكل إيجابياته وســلبياته، وكانت النتيجه أن إنتصــر الفريق الثانى وضاعت الفرصه التاريخيه لإستمرار التطور الحزبى في مصر، وتابع ضياع الفرصـه الثانيه قيام النظام الإشـتراكى وسياسـة الحزب الواحد وســارت الأمور على مر الســنوات وكانت تزداد كل يوم الحاجه لتعدديه حزبيه لضــبط الإيقاع الســياســى ولكن كان هناك من لا يريد! ولا يرغب في ذلك، حتى جاءت نكسـة يوينو ١٩٦٧ والتى هزت المجتمع المصـرى كله وظهرت الحاجه إلى إلغاء الصـوت الحزبى الواحد وهو ما عبر عنه الرئيس عبد الناصر في إجتماع الإتحاد الإشـتراكى قائلا " النظام الحالى إستنفد كل مداه ولا بد من نظام جديد وعندى إقتراحات محدده، أولا: إننا كأعلى ســلطه ســياســيه علينا أن نتحرر من الخوف وبعد كده نحرر البلد كلها من الخوف، ثانيا: إذا كنا عايزين حقا توفير الأمن والسـلام زى ما قلتم فلنسـمح بوجود معارضه في البلد.... "

ولكن كلمات الزعيم الراحل جاءت متأخرة ولم تكن إلا إنعكاســا لضــياع الفرصه التاريخيه في ١٩٥٤.

وجاء ضـياع الفرصـه التاريخيه الثالثه عندما قرر الرئيس السـادات إعادة الحياة الحزبية المصـرية ولكن على طريقه ملوك مصـر فقرر بطريقه فوقيه إعادة الحياة الحزبية بقرار إنشاء المنابر السياسيه الثلاثه يمين ووسط ويسار لتضم كافة التيارات السياسيه المصرية والتى تحولت فيما بعد إلى أحزاب، وعلى الرغم من أن السـادات أعاد الحياه للأحزاب المصـرية إلا أنه أرادها أحزابا على شـاكله الأحزاب السـياسـيه فيما قبل نهاية العهد الملكى يريد ولاءات أكثر من تطور حزبى وهو ما جعله يصطدم بكتل سياسيه معارضه لسياسـاته مثل اليسـاريين والناصـريين جعلته مجبرا على لعب دور الملك فاروق في السـابق واسـتدعى تيار الإسـلام السـياسـى لمقاومه مناوئيه السـياسـيين وأسـتمر هذا الوضـع قائما حتى كانت نتيجته أن قتل الرئيس السـادات، وضـاعت فرصـه تاريخيه أخرى لتطور حزبى مصـرى بطريقه طبيعيه.

وفى عهد الرئيس مبارك وعلى الرغم من ميراث التجربه الحزبية من عهد السادات إلا أنه لم يضف لها الكثير وجاءت الفرصه التاريخيه لإعاد الحيويه الحزبية في العام ١٩٨٧ والتى شـهدت إنتخاباتها البرلمانيه فوز المعارضـه بجميع أطيافها بعدد لا بأس به من المقاعد البرلمانيه وهو ما أقلق دوائر كثيره في السـلطه وهوما عجل بوأد فرصـه تاريخيه أخرى كانت تعد لبدايه وعلاقه جديدتين بين النظام والمعارضـه في إطار حزبى ومناخ سـياسـى منضـبط.. واختفت المعارضـه وتغول النظام وأصـبح النظام الحزبى هشـا

وديكورا سياسيا للنظام الحاكم وأستمر ذلك حتى سقوط نظام مبارك في ٢٥ يناير ٢٠١١.

إن توالى الفرص الضائعه في الحياة الحزبية المصرية منذ نشأتها وحتى الأن ليس وليد الصدفه ولكنها نتيجة رغبه النظام الحاكم في تحديد شكل وكيفية عمل النظام الحزبى داخل المجتمع المصـــرى، وعليه فإن الحياة الحزبية المصرية ستظل أسيرة الفرص الضائعه طالما كانت فكرة العلاقه بين النظام والمعارضه تتمحور حول فكرة التابع والمتبوع.

❊ ❊ ❊

# لمصلحة من؟.. تريدونها ديكتاتورية فرانكو

في وسـط هذه الحاله من عدم الإتزان السـياسـى التي تمر بها مصـر.. وما يواكبها من إرتباك المشـهد ككل.. يصبح صنع القرار السـياسـى المصرى محل جدل وعراك سـياسـى عقيم، وهنا تصبح الحاجه إلى نظام سـياسـى متماسك واضح المعالم هو المطلب الأساسى للخروج من الأزمه السياسيه الحادثه في مصـر بعد ما يربوا على أكثر من أربع سـنوات هى عمر ثورة ٢٥ يناير..

هنا يثور التساؤل. من المتسبب في حالة عدم الإتزان؟ ولمصلحة من؟

فاللإجابه على هذا التساؤل، يصبح لزاما علينا أن نقوم بزياره تاريخيه ليست بالبعيده، ولكنها زيارة مهمه لدلالاتها التاريخيه والمسـتقبليه، وإنعكاس ظلالها على المشهد السياسى المصرى

فها نحن نقف عند بداية تحول تاريخى في أسبانيا، حيث قيام الثوره الأسبانيه في بداية ثلاثينيات القرن العشـرين، تلك الثوره التي دشـنت لما عرف إصـطلاحا " بالجمهوريه الثانيه" في أسـبانيا.. والتى شـهدت صـعودا لافتا لقوى التيارات اليساريه والشيوعيه والبرجوازيه الديموقراطيه، والتى بشرت لزمن جديد رأى فيه الأسبان بدايه حقيقيه لمستقبل أرادوه مبشـرا، بعد ظلم وتحكم القوى الملكيه وكبار ملاك الأراضـى.. وقد أجريت إنتخابات برلمانيه فاز فيها تحالف اليسـار وسـط تجانس حزبى مشـوه، أدى فيما أدى

بعد ذلك إلى إختلاف في أليات العمل وتضارب مصالح أدت إلى إضرابات مجتمعيه ومطالب فئويه نتيجة إصرار الأحزاب اليساريه على تنفيذ أسلوبها الإصلاحى متجاهلة الظروف المجتمعيه وحركة التاريخ. هنا نشب الصراع الحزبى الذي شغل الجميع، وبات كل شئ في أسبانيا على وشك الإنفجار هنا تدخل الجنرال فرانشيسكو فرانكو قائد حاميه أسبانيه في المغرب، معلنا حربا لإسقاط حكومه " الجمهوريه الثانيه " مدعوما من قطاعات كبيره في الجيش والأحزاب اليمينيه. وما أن تم إسقاط الحكومه الثوريه حتى نشبت الحرب الأهليه التي راح ضحيتها قرابة المليون قتيل، منتهيه بحكم ديكتاتورى للجنرال فرانكو دام قرابة الأربعين عاما.. واضعا خطا سياسيا جديدا بعيدا عن المشاركه السياسيه الفاعله، وعلى الرغم من سنوات حكمه الطويله إلا انها ساهمت في صنع أسبانيا المعاصره، وأعطتها إستقرارا طويلا في عالم متقلب ومتغير، مما سمح بعملية نمو إقتصادى مأمون، وأصبحت قضية الحريه مؤجله لما بعد رحيل الجنرال فرانكو عن الحياة

وعليه فإذا كان فرانكو إنتصر لمعسكر الثوره المضاده، إلا أنه قد أحدث تغييرا كبيرا في التركيبه الطبقيه للمجتمع، وذلك بالمضى في التصنيع وتفكيك أواصر الملكيه، وإحلال رجال المال مكان رجال الإقطاع.

وبعد هذا العرض يبدو أن التشابه الحادث بين الثورتين الأسبانيه والمصرية في ٢٥ يناير، وتعاطى الأحزاب السياسيه معهما، يثير الدهشه لتقاربهم لحد

التطابق.. فبعد قيام الثوره وإنهيار حكم مبارك العتيد، ومع إجراء الإنتخابات البرلمانيه التي شـهدت صـعودا كبيرا للتيارات اليمينيه الدينيه بمختلف أجنحتها، مع وجود جيوب حزبيه ليبراليه ويساريه، ومع تشكيل أول حكومه فقد بدا ان التيارات الدينيه تجاهلت حقائق تاريخيه على الأرض وأرادت تطبيق نموذجها الإصلاحى دون المشاركه الحزبية الكامله للمجتمع، وهو ما أدخل الحياة الحزبية في صـراع، سـرعان ما إحتدم وأصـبح ينذر بإنفجار وشـيك، وسـط مطالب شـعبيه فوريه لتحقيق مطالبها الإقتصـاديه، والتى عبرت عنها بإضـرابات عماليه ومطالب فئويه.. الأمر الذي أدى بالنهايه إلى خروج الشـعب في ٣٠/ يونيو لإسـقاط أول حكومه بعد الثوره في أقل من عامين، مدعوما بمساندة القوات المسلحه بقيادة الفريق السيسى.. وهو هنا يختلف عن الحاله الأسبانيه في التعاطى مع الازمه السياسيه.

وتم وضع خارطة طريق جديده للخروج من الأزمه السياسيه، وهو ما أدى إلى إختيار الفريق السـيسـى رئيسـا منتخبا.. وسـط غياب تأييد الأحزاب الدينيه بطبيعة الحال، وبالمقابل تأييد بقية الأحزاب التي رات أنها بمساندتها لخارطة الطريق الجديده، فإنها بذلك سـتنال نصـيبا كبيرا في المنظومه الجديده، بعد خروج التيارات الدينيه من العمليه السياسيه..

ولكن بعد إنتهاء الإسـتحقاق الدسـتورى والإسـتحقاق الرئاسـى.. ومع التعاطى مع بدايات الإسـتحقاق الإنتخابى والأخير في خارطة الطريق، فقد

بدا أن الأحزاب السياسيه، هى أحزاب كرتونيه ليست لها قواعد شعبيه كبيره تؤهلها لدخول البرلمان ناهيك عن قيادة البلاد، والتى ملأت الدنيا ضجيجا بقدرتها على قيادة المرحله الثوريه، فإذا بها تسقط في إختبار الشعبيه، وأصبح كل ما يشغلها هو كيفيه قيادة تحالفات حتى وإن كانت مع الحزب الوطنى الذي قامت بالثوره ضده.. أملا في عدم الخروج من المشهد واستغلال الفراغ الناشئ عن تراجع التيار الدينى من الساحه السياسيه.. وهو ما بدا في فشل التحالف تلوا الأخر.. الأمر الذي أدى إلى ظهور كيانات حزبيه جديده وسرعان ما تختفى.. الأمر الذي يدفع في إتجاه أزمه سياسيه ودستوريه، قد تقود البلاد إلى إنفراد الرئيس السيسى بالسلطه، وهو عكس ما أرادت الثوره، ولايريده السيسى تصريحا

ولكن ما العمل وسط حاله التناحر الحزبى وعدم الإتفاق،الذى يعطل القرارالسياسى المصرى في زمن مضطرب، يرجى فيه سرعة إتخاذ القرار، خاصة مع تردى الأحوال الإقليميه والدوليه

أهذا ما تريدونه يا قادة الأحزاب مجرد ديكور في كل الأزمنه، مجرد ورده على جاكيت الحاكم.. ولمصلحة من تريدون أن تحولوا الرئيس الجديد إلى ديكتاتور يدارى عوراتكم وعدم إيمانكم بقضيه الحريه.. وتعطيل مسيره التنميه.. أنتم حجر عثره في طريق التقدم السياسى والإقتصادى.. لذلك لما تصرخون والرئيس يتخذ قرارارت سياسية وإقتصاديه وأنتم على

الهامش.. هذا لأنكم تريدونه ديكتاتورا تتوارون وراؤه، تصـرخون وتزبدون منادين بالحريه وأنتم أخر من يتكلم عليها..

لذلك ليس لك أيها الشعب إلا نصيحة الزعيم الصينى " ماوتسى تونج " ( تأملوا أحوال الدنيا حولكم.. ثم فكروا ).. لعلكم تطرحون بديلا خير من حزبيه ضيقه أو ديكتاتوريه ينادى بها البعض..

❊ ❊ ❊

# الدولة الوطنية وآلهة العجوه

إن عبادة الأصــنام عادة مذمومه في كل الأديان الســماويه، وكثيرا ما نقرأ أو نسمع من يزأر بأعلى صوته محذرا الناس على المنابر وشاشات التلفزيون من عبادة الأصنام القديمه والحديثه، ونرى الناس تهز رأسها كتصديق لكل ما يقال، ولكنها ومن تســتمع لهم لا يشــيرون دائما إلى من يصــنع تلك الأصنام أو الألهه وما الهدف من ذلك؟

بعد أن نجا الله النبى موســى وقومه من فرعون وجنوده وأغرقهم في البحر، وبينما هم عبور مروا على قوما يعكفون على عبادة عجل فطلب قوم موسى منه طلبا غريبا يتنافى مع ما شــاهدوه من معجزة شــق البحر، وهو أن يجعل لهم إله كما لهؤلاء القوم، فأنكر عليهم هذا الطلب ثم مضــى إلى لقاء ربه، وهنا ظهر " السامرى " صانع الآلهه الذي تبرع ليقدم لقومه ما يريدون فأخذ منهم الذهب الذي أخذوه من المصــريين قبل مغادرتهم مصــر ثم حول هذا الذهب إلى " عجل " معبود يصدر صوتا فعبده القوم من فورهم، ولم يقدر عليهم " هارون " أخو النبى موســى، حتى عاد النبى وقام بحرق ونســف " العجل " ورماه في البحر، ثم جاء بالسامرى وحدثه " ما خطبك يا سامرى؟! قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من آثر الرسول فنبذتها وكذلك ســولت لى نفســى "، هكذا بكل بســاطه إعترف بجرمه ولكن على طريقة المجرمين العتاه بأن جعل جرمه نتيجة إختلال نفســى وليس عن يقين بما

يفعل، يقين من يحلم بالسيطره والقياده عبر دغدغة مشاعر العامه.

وعلى الرغم من أن السامرى هو الشخصيه الوحيده المذكوره في القرآن الكريم كصانع آلهه إلا أن هذا الحدث هو سلوك بشرى متوارث، فها هو " عمرو بن لحى " التاجر الشاطر القادم من مكه بلد بيت الله الحرام يتجول في أسواق الشام فرأى الناس تعكف على عبادة الأصنام فأختمرت في رأسه فكره جهنميه، فقام بشراء إلهين من الحجاره " هبل ومناة " ورجع بهما إلى مكه ونصبهما حول الكعبه وأنكر الناس الفكره في بادئ الأمر حتى تعودوا على ذلك فيما بعد، وتحول أمر وشؤون الألهه إلى أسياد قريش الذين جعلوا للألهه مكانه عظيمه ثم حولوها إلى تجاره كبيره لإبتزاز الناس ماليا وعقائديا ليضمنوا سيادتهم على مكه وما حولها، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تاجروا في صناعة الألهه وأصبحت الألهه متنوعه فبعضها مصنوع من الحجاره وبعضها مصنوع من الخشب، والأدهى هو ما تفتق ذهنهم عنه عبر صناعه آلهه من العجوه لمن يريد، حتى إذا جاع المتعبد يستطيع أن يأكل إلهه بعد أن يعبده، وهو ما ضمن لسادة قريش البقاء طويلا جاثمين على أعناق العبيد وفقراء مكه مئات السنين، حتى جاء من يخلصهم من وهم الألهه، النبى محمد (ص).

ولكن بعد أن تتطور الشكل الإيمانى وأصبحت عبادة الأصنام من الماضى إلا أن صناعة آلهه العجوه لا زالت مستمره، خصوصا بعد أن فشلت الدولة

الوطنيه التي جاءت كشكل تحررى من الإستعمار في عالمنا العربى، ولتقضى على أصنام التخلف والجهل والمرض وترفع من قيمة الإنسان المحرر من أسر العبوديه، والتى سرعان ما حولت فشلها إلى جعل " الحريه والعداله الإجتماعيه والحياة الكريمه " آلهه تعبد ترجى بعد أن فرغوها من معانيها، ونصبوها في طول البلاد وعرضها وتواروا عن الأنظار لفشلهم وسوء عملهم وتمترسوا خلف الستار تاركين لفعل آلهه العجوه من المؤيدين لها أن يمارس دوره في إقناع العامه بأن الآلهه الجديده التي عبدوها مازالت تمارس دورها وأنها الحافظه للدوله بعدما طال الفشل كل المناحى.

فى ندوه لمؤتمر بعنوان " مستقبل التنمية في مصر والدور المنتظر لها في القرن الحادى والعشرون " عام ١٩٩٤ تحدث فيه الكاتب الكبيرالراحل " محمد حسنين هيكل " عبر مساهمه منه في المؤتمر وكان مما قاله في ذلك المؤتمر " وربما زعمت أن معظم الرجال الأقوياء في العالم العربى ليسوا ظاهرين على المسرح ولا ممن تنشر الصحف صورهم، وذلك غموض يثير الشك ".

ذلك غموض يثير الشك!! عباره ذكيه خرج بها " هيكل " بلباقه حتى لا يسأل عن الرجال الأقوياء سدنة الآلهه وصانعى آلهه العجوه، ولكن بنظره متفحصه لأحوال الدولة الوطنيه في البلاد العربيه سنجد أنها جميعا تتبنى

التبشــير لآلهه الحريه والعداله الإجتماعيه والحياة الكريمه حتى يلتف المواطنين حولهـا منتظرين المن والســلوى من حكومـاتهم الوطنيـه التي حررتهم من جاهلية الإســتعمار، ولكنها بمرور الســنوات إســتوعبت أن المواطنين بدأوا يتململون بعدما وجدوا أن آلهتهم لا تحرك ســاكنا وأنها لا تعدوا ملصـقات على حوائط الأنظمه يتبركون بها، هنا قاموا بصـنع آلهه من العجوه عباره عن كيانات بشــريه يتحلق حولها الناس، آلهه مؤيده للأنظمه وآلهه معارضه لها حتى تجعل الناس تزداد كفرا بالحريه والعداله الإجتماعيه والحياة الكريمه، حتى يقتنعوا أن السبيل لتحقيقها هو تقديم القرابين لسدنة معبد الدولة الوطنيه عبر مزيد من الخضوع وتقديم الولاءات وعدم المطالبه بأى شــئ يعكر الصـفو، وفى المقابل ســيمنح كل مواطن إله من العجوه من مؤيدى النظام ليعلقه على الحائط، وآخر من المعارضه ليأكله.

الناس في البلاد العربيه كفرهم بالدولة الوطنيه يزداد بعدما حولت أمانيهم بالحريه والعداله الإجتماعيه والحياة الكريمه إلى مسـوخ وأصـنام تعبد بعد أن فرغوها من معانيها، حتى أن فعل الثوره وهو يماثل شــق البحر لموســى وقومه، لم يحقق فارقا كبيرا لديهم وسرعان ما إنطلق " السامرى " و" عمرو بن لحى " ليحقق لهم ما يتمنوه من إعادة إســتحمار ولكن بإراده واضــحة المعالم وواعيه لما تفعل. بعدما صــدقوا ما قيل لهم " وكذلك ســولت لى نفسى " ولـم ينسفوا العجل في البحر.

# دولة المماليك بين رمزية الثائر والحرامى

منذ الصغر ونحن نسمع الحكايات المسليه المليئه بالأساطير والتشويق المبالغ فيها من أجل كسر حدة الملل والرتابه وكنوع من التسريه على الصبيه الصغار الذين يتحلقون حول الأجداد والآباء والأقارب في ليالى الزمن البعيد، ولكن الحكايات لم تكن كلها للتسليه فقط بل كان في طياتها عقاب لمن لا يسمع الكلام ويتحدى الكبار من نوعية حكايات " أمنا الغوله " التي تاكل الأطفال، والعفريت الذي يظهر في الأماكن المظلمه والبعيده، والمارد الذي يستطيل إلى أن لا ترى طوله في السماء ثم يصرخ في أذنيك ويميتك، وكلها تستهدف شيئا واحدا هو جعلك طفل مطيع بيسمع الكلام، وعلى الرغم من توارث تلك الحكايات الغريبه والتى توارثها الأحفاد عن الأباء عن الأجداد إلا أنهم جميعا إشتركوا في شيئا واحد وهو أنهم جميعا صدقوا تلك الحكايات ولم يتوقف بعضهم ليسأل هل تلك الحكايات حقيقيه أم لا؟ ولكن نرى العكس نراهم يجزمون بصحتها بل يتمادى بعضهم إلى أنه رأى العفريت والمارد. والنتيجه المنطقيه أكبر عملية تدجين للأجيال المتعاقبه التي تسمع عن العقاب ولا تراه وتتعامل على أنه واقع في حال أنها تحركت مما يجعلها من الخوف تترك السؤال وتتحاشى الإجابه.

وهنا يثور السؤال من المسئول عن تلك الحاله التي تعمل على تدجين الشعب؟

الإجابه عند دولة المماليك التي منذ البدايه وهى تعلم أن الشعب بعلمائه وطوائفه المختلفه رافضين لحكمهم لأنهم غرباء عنهم جاءوا عبيدا ليحموهم وإذا بهم يصبحون أمراء وسلاطين عليهم، لذلك لكى يتحايل السلاطين الجدد على هذا الوضع الذي يهدد شرعيتهم وينذر بزوال مكتسباتهم وحلمهم بتكوين ملكا لهم يعوضهم عن ذل العبوديه قاموا ومنذ البدايه بمحاوله تدجين الشعب وإغراقه في الخرافه والبدع من أجل السيطره عليه وتمرير ما يريدونه من خلال الحكايات والأساطير من أجل بث روح الخنوع والقبول بالأمر الواقع، وهم أول من ابتدع تمرير السير الشعبيه وفتح المقاهى لمنشديها الذين كانوا يمجدون الحاكم ويروون الأساطير عن مليكهم الذي يستطيع أن يفعل كل شئ بأعداءه في الخارج ومن يعصيه في الداخل، وقد كانت البدايه في عهد السلطان المملوك " الظاهر بيبرس البندقدارى "الذى انشأ المقاهى الذي نسبت له " المقاهى الظاهريه " لتكون عونا له لتغيير نظرة الناس له على أنه عبدا مملوكا وتحوله إلى " إبن أصول " وأسر في معارك سابقه وأصبح مملوكا مع بعض المشهيات الأسطوريه لتمرير القصه وجعلها حقيقيه.

ولم يكتفى المماليك بذلك بل إستخدموا تلك الحكايات الشعبيه في محاربة من يناوؤهم في الحكم، ولكن الأنكى من هذا كله هو التدخل والسماح بتمرير حكايات البطل الشعبى الذي يهواه الناس، ولكن في المقابل لا يكون من الفئه التي تقاوم الحكم وتطلب تغييره، من نوعية الحرامى الشريف

الذي يسرق الأغنياء ويعطى الفقراء دون أن يتناول بين طيات الحكايه أى ملمح للثوره تغيير الحاكم، مثل حكاية " على الزيبق ".

وبما أن تاثير الدولة المملوكيه لا زال أثره على الشخصيه المصرية دامغ فقد تكرر المشهد أيضا عندما ثار المصريين مساندين " سعد زغلول" باشا في ثورة ١٩١٩ فما أن إنكسرت الثوره حتى فوجئ العقل الجمعى المصرى ببطل شعبى يأتى من خارج السياق الثورى لمجرد أن هرب من السجن إبان الثوره وأختلط العمل الثورى بالجنائى وتحول " أدهم الشرقاوى " إلى بطل وتمت عملية غسيل المخ للشعب وأطلت الدولة المملوكيه برأسها وتحول الحرامى لبطل في مقابل تمرير مقولات على لسان زعيم الثوره توحى بالفشل وأن لا فائده من العمل الثورى " مفيش فايده يا صفيه " – سعد زغلول مخاطبا زوجته – والمقصد واضح.

ولكن يبقى الرمز الشعبى الذي يصنعه الشعب ويدافع عنه حاله إستثنائيه وهو الذي يدافع عنه حتى الموت مثل حالة الثائر " عبدالله النديم " خطيب الثوره العرابيه الذي حولها من مطالبات جيش إلى ثورة شعب يريد التغيير، أحبه الناس من خلال خطبه وأزجاله وأشعاره، ولما فشلت الثوره وقبض على قوادها، هرب ذاك الثائر من بطش السلطه والإحتلال وكلاب السلطه الذين راحوا ينهشون في جسد الثوره والشعب ويحملون الثوره وخطيبها خطيئة إحتلال مصر من قبل بريطانيا ولا يذكرون أن الخديوى هو من

إســتدعى الإحتلال حتى لا يزول ملكه، ورغم البحث المســتميت عن " النديم " إلا أنه إستطاع أن يبقى مختفيا في قلوب المصريين وفى بيوتهم أكثر من تسـع سـنوات متحدين السـلطه التي تملك إعلاما نال من كل أطياف الثوره. ولكن في النهايه لم يسـتطع الشـعب أن يصـنع حكايته وأسـاطيره لتحكى للأجيال القادمه قصة ثائر ضد السلطه الغاشمه لماذا؟

لأن دولة المماليك كانت سباقه بتمرير حكاياتها وأساطيرها حول هذا الثائر واستطاعت خلال سنوات قليله أن يتحول قائد الثوره وخطيبها إلى شياطين مرده أسلموا بلادهم إلى الإحتلال.

دولة المماليك لا تريد رمزيه ثوريه، وإنما تريد شـعبا يدمن الحكايات والأسـاطير التي تمجد من الحرامى الشـعبى الذي يوقف حدود تفكيرهم عند الهجاء والسـباب وكل ما يتمنوه أو يفعلوه هو التعدى على منتسـبى الدولة الصـغار حتى يأتيهم العقاب الرادع، ولا يتحلق تفكيرهم أو خيالهم حول فكرة الخلاص وتغيير الوضع القائم.

❊ ❊ ❊

# الكفن له جيوب وشكر اللّه سعيكم !!

(١)

إستهل الرئيس المصرى السابق حسنى مبارك بداية حكمه بكلمات عاطفيه تدغدغ المشاعر تخاطب ضمير المواطن الفقير وتجعله ينظر إلى حاكمه الجديد على أنه مبعوث العنايه الإلهيه لإنتشاله من براثن الفساد والسرقه التي شابت آخريات عهد الرئيس السادات وإنفتاحه الإقتصادى الذي تحول إلى كارثه فساد تزكم الأنوف، فوقف يقول " الكفن مالوش جيوب " وظل يرددها كثيرا في إشارة إلى أنه ضد الفساد ولن يسمح له بالعوده مرة أخرى، وهو ما جعل الناس تستبشر خيرا في بداية جديدة، ولكن مرت السنوات الثلاثون على حكمه وأزداد الفقر والفساد وأصبح للكفن جيوب كثيرة.

(٢)

بعد أن إعتلى الخطيب منبر المسجد ليخطب فينا خطبة الجمعه، وبعد أن فرغ من ديباجة البدايه دخل على موضوع الخطبه وكان عن " حماية الشأن العام والمصلحة العامة " وتحدث في إطار الخطبه المحددة له من وزارة الأوقاف عن أهمية حماية الدولة وشأنها العام والتوعيه بذلك بين الناس حتى نحافظ على الدولة من الإنهيار، وتحدث أيضا عن إتلاف أوسرقة المال العام ومدى حرمته، وراح يلقى في نهاية الخطبه على مسامعنا أدعية الختام لعل وعسى أن يستجيب له ولنا الله تعالى، فراح يدعوا على الظالمين

والفاســدين وكررها أكثر من مرة وكأنه يرجوا من أحدنا أن يلقى ما في جيبه توبة إلى الله ولم يحدد من هم الظالمين والمفسدين.

(٣)

فى مشهد جنائزى مهيب تنساب فيه دموع المواطنين أنهارا وبعد أربعين يوما إســتغرقها تحنيط جثة الفرعون العظيم تســير الجنازة إلى مثواها الأخير محمولة على عربه تجرها الخيول المطهمه بداخل تابوت ذهبى فاخر محلاة بالقلادات الذهبيه ووراءها يمشى العبيد والجوارى يلطمون الخدود ويحملون في أيديهم صــناديق بها من الذهب والجواهر لتدفن بجانب الفرعون الإله، الذي ســيبعث مرة أخرى ويجب أن يكون في كامل زينته، وكان هذا أول تدشين في التاريخ للكفن أبو جيوب في التاريخ.

(٤)

وقف كبير الكهنه يدعوا للفرعون المتوفى وراح يتلوا الترانيم المقدســه على روحه الطاهرة داعيا جموع الشعب أن تدعوا بالرحمه لفرعونها العظيم الذي سيكون حكما ومخلصا لهم في الدار الآخرة! في دراما مسرحيه تذر الرماد في عيون فقراء الشعب تعميهم عن السؤال عن الكنوز التي أخذها معه الفرعون إلى قبره والتى تعتبر نتاج تعبهم وشقاءهم الذي يتوارثونه جيلا بعد جيل.

(٥)

يقف بين الجموع متواريا لابسا مسوحا جنائزيه ولكنه لا يأبه لجلال المشهد الجنائزى ولا لكلام كبير الكهنه عن الموت والحياة الآخرة ومحاولاته

المتكررة لإســتدرار دموع الفقراء على جســد الفرعون! إنه لص المقابر الملكيه الذي لا يخشى السجن أوالموت إذا ما ضبط بالسرقه لأنه يريد أن يشارك في قسمة ما يحويه تابوت وكفن الفرعون الميت لأنه يعلم أن الكاهن وورثة الفرعون قد شيعوا كفن الفرعون الأكبر وأقتسموا ثروته المسروقه من دم الشـعب قبل أن يشـيعوا كفنا من الكتان مملوءا ببقايا كنوز ليثبتوا أن الملك لا يملك من حطام الدنيا غير تلك الكنوز فقط. وما هى إلا سـاعات معدودة وفرغ الكهنه من الدفن وراحوا يضـعون طرقا خداعيه لمكان دفن الفرعون حتى لا يعرفه اللص، ولكن اللص مع ذلك عرف مكان القبر وأقتسـم مع الفرعون والكاهن بقايا ما بقى من سـرقه في الكفن. ولا عزاء للمشيعيين الفقراء الذين رجعوا ليعملوا لتجهيز كنوز الكفن التالى للفرعون المقبل.

(٦)

بعد آلاف السنين من موت الفرعون والكاهن واللص تطورت طبيعة الحكم وتغير الدين أكثر من مرة والذى جعل من الشـعب أكثر وعيا، ظهرت الحفريات وفتحت المقابر ووجدت جثث الملوك الفراعنه وكبار الكهنه وبها الكنوز تملئ الكفن مع بعض الأثار التي تشير إلى أن اللص قد زار تلك المقابر إما نهابا إياها بالكامل أو بطريقه جزئيه، وظهر علينا من يقوم بلعن اللص الصغير لأنه سرق قبر الفرعون! ولا يسأل نفسه لماذا لا يكتشف فقط

في مصـــر إلا مقابر الملوك الفراعنه وكهنتهم بكامل كنوزهم ولا يوجد مقبره لفقراء هذا الوطن؟

(٧)

لماذا بقيت كنوز الملك توت عنخ آمون سـليمه ولـم تمس في كفنه ومقبرته؟ سـؤال يحاول علماء الآثار تفسـيرة على أن لص المقابر الحقير لم يسـتدل على عنوان المقبرة ولهذا بقيت سـليمه بكامل كنوزها التي توضـح مكانه الملك وتقدم مصـر الفنى وكلام كثير يقال بالمتاحف جاهز ومعلب! لكن الذي تغافل عنه علماء الآثار أن هناك سـبب آخر وجيه وهو أن الملك توت عنخ آمون كان صبيا جاءوا به كحل وسط وسريع بعد أن ثار كهنة آمون على حكم الملك إخناتون ودخول البلاد في فوضـى كبيرة وأنتشـرت الحرائق والسـرقات وحوادث القتل والتخريب وبالتالى إنشـغل اللص التعيس بالفتات وأفلت الفرعون المحظوظ بكنوزة كامله داخل كفنه

(٨)

بنوك سويسرا وجزر الكايمن وأماكن شبيهه مثلها شكلت التطور الطبيعى للمقبره المصرية القديمه والكفن أبو جيوب، حيث يشيع المواطنون الفقراء ملكهم أو رئيسهم ملفوفا بكفن أبيض في صندوق خشبى ملفوفا بعلم الوطن لا يحوى أى أموال أو كنوز مرددين ما آمنوا به من أن الكفن ليس له جيوب وأن الجسـد الطاهر الآن بين يدى الله يحاسـب على نظافة يده. ولكن على

الجانب الآخر من العالم تشـيع جنازه أخرى للجسـد الطاهر حيث يوجد كفن من الصـناديق المملوءه ذهبا وأموالا يجرى دفنها في البنوك العالميه لصـالح ورثة المرحوم بعيدا عن أعين الفقراء، وبعيدا عن أعين اللص الأبدى الذي يحضر كل جنازات الملوك منذ بدأ التاريخ في مصر وسط جو إيمانى تغلفه آيات وترانيم الأديان السماويه كلها.

(٩)

اللص يجلس أمام شاشة التفلزيون وبيده مسبحه يستمع إلى أحد المشايخ في جو إيمانى لا يخلوا من الورع والتقوى وفجأة تهللت أسارير وجهه وطار فرحا وراح يرقص، فقد سمع من الشيخ فتوى تقول بأن من عثر على كنز في الأرض فهو له وليس عليه إلا أن يتبرع أو يتصدق أو يتزكى بعشر هذا الكنز والباقى حلال له بإذن الله! ومن يومها وهو يحفر مقابر الأقدمين على امل أن يعثر على كنز الرئيس الميت.

(١٠)

لملايين البشـر من المواطنين الفقراء " شـكر الله سـعيكم " و" عظم الله أجركم "

❊ ❊ ❊

# الدولةالنيوليبرالية.. مصر نموذجا

(١)

فى مرحلة الصبا كنا نسمع كثيرا من المصطلحات السياسيه الكثيره ولا ندري لها معنى ولكنها كانت تثير خيالنا بإعتبار أن من يلقيها كان يريد لها وقعا حماسيا ورنين مقصود به توجيه بعينه، وكان من ضمن تلك المصطلحات الرنانه، مصطلح " الدولة " وهو مصطلح جرى سحبه ومحاولة تدجينه من كل الأطياف السياسيه المصرية في محاوله للتقرب للجماهير ومداعبة خيالها الحماسى، فنرى التيار الإسلامى يصف النظام الإمبراطورى الإسلامى في العصور الوسطى " بالدولة الإسلاميه " في محاوله لمسايرة الجماهير والواقع المستجد ولكنه سقط في إختبار التطبيق حيث أنه يقصد بالدولة ليس الدولة القطريه الضيقه بل عالميه الدولة وهو ما يتناقض مع مصطلح الدولة ومفهومه. في المقابل كان القوميون هم أكثر من إستخدم مفهوم الدولة لتأكيد أن مصر هى أول دوله في التاريخ متجاهلين الفوارق الكبيرة بين مفهوم وشكل الدولة الحديث وبين التنظيم الأولى لشكل الحكم السياسى والإجتماعى في مصر الفرعونيه،

(٢)

لما كبرنا عرفنا أن مفهوم وشكل الدولة الحديثه ما هو إلا نتاج معاهدة أو صلح " وستفاليا " في العام ١٦٤٨ التي أنهت الحرب في الإمبراطوريه

الرومانيه المقدســه وحرب الثمانين عاما بين أســبانيا ومملكة الأراضــى المنخفضــه، وتعتبر تلك المعاهدة إتفاق مؤســس لنظام جديد أنهى الشــكل القديم لحكم القرون الوسـطى وأرسـى مبدأ جديد قائم على سـيادة الدول. وهكذا تحول الحكم من فكرة الدولة-الحصـن القائمه على حصـن يسـكنه الملك ورعايا يتحلقون حوله بدون حقوق إلى شــكل الدولـة-المواطن والذى تحول فيه الشعب من رعايا الملك إلى مواطنين مشاركين في الحكم وفاعلين فيه.

(٣)

على الرغم من الإقرار من أن " محمد على " باشا هو بانى مصر الحديثه إلا أنه لم يأخذ بشــكل الدولـة الحديث إلا من خلال التحديث الصــناعى والزراعى والعســكرى فقط دون الـدخول إلى تنظيم الـدولـة الـداخلى الحديث وأسـتمرت دولة-الحصـن (دولة-القلعه) المسـتمرة من العصـور الوسـطى تحكم سياسـيا دون تغيير كبير وأسـتمر الشـعب يحمل لقب رعايا الوالى! وعلى الرغم من الإقرار من أن الخديوى " إســماعيل باشــا " قد حاول إدخال مصــر إلى نمط الدولة الحديثه بمفهومها والذى بدأ يتجذر في أوروبـا إلا أنـه لم يلقى النجاح المنشــود ولكنـه كـان بـدايـه لتجـذر حقيقى لمفهوم الدولة الحديثه في مصر.

(٤)

كان الوجود الحقيقى لمصــطلح الدولة بمفهومه الحديث هو بعد قيام ثورة

٢٣ يوليو ١٩٥٢ والتى أحدثت مفاصله تاريخيه بين مصر القرون الوسطى وبين الدولة الحديثه العصريه، وتحول شكل الدولة من الدولة-الحصن أو القلعه إلى شكل الدولة-المواطن والتى تجذر فيها مفهوم المواطنه والمشاركه المجتمعيه وإعلاء مكانة الطبقه الوسطى وأصبحت الديموقراطيه أساس يبنى عليه في العلاقه بين سلطة الحكم والمواطنين في الدولة الجديدة. وقد تعرضت الدولة -المواطن الجديده في مصر لإختبار قوى عندما تبنت السلطه الحاكمه نظام إيديولوجى يتخذ من فكر القوميه العربيه مبررا لوجودة في محيطه الإقليمى عندما وضعت تلك السلطه الفكرة القوميه محل تجربه على أرض الواقع عبر الشعارات والخطابات السياسيه إلى أن جاءت لحظه الإختبار الحقيقى وتم الإعلان عن قيام دولة الوحدة القوميه بين مصر وسوريا في أول تخلى مصرى عن فكرة الدولة القطريه ومحاولة تطويرها في إطار فكر الدولة القوميه، ولكن سرعان ما حدثت المفاصله بين مصر وسوريا وسقط الحل القومى لأنه لم يراعى الفروق التي حدثت نتيجة تبنى الدول العربيه فكرة الدولة الحديثه. ورجعت مصر مرة أخرى إلى حدود الدولة الحديثه تحاول على مدار عشرات السنوات التاليه تقويه مفهوم الدولة والمواطنه، ولكن حدث مالم يكن في الحسبان!!

(٥)

مع إندلاع ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ والتى تعتبر أول ثورة في ظل مفهوم الدولة الحديثه حيث مثلت تلك الثورة صرخه في وجه نظام المخلوع مبارك

وزمرته، وأن محاولة تغيير شكل الدولة من نظام الدولة-المواطن إلى شكل الدولة-السوق عبر تبنى مفاهيم إقتصاد السوق وإجراءات صندوق النقد والبنك الدوليين لن يمر مرور الكرام حيث آتى هذا على ثوابت إجتماعيه عاش المصريين في ظلها لعشرات السنوات وأن عملية التغيير يجب أن تمرعبر مشاركه مجتمعيه شامله وأن خروج النظام الحاكم على مفهوم الدولة-المواطن سيقابل بالعنف مالم يقدم دعاة الدولة-السوق مبرراتهم لتطوير الدولة.

(٦)

الدولة النيوليبراليه هى الشكل الأحدث من تطور مفهوم الدولة الحديثه، حيث تتبنى أمريكا والبنك الدولى وصندوق النقد الدولى مهمه تأكيد سيادة هذا المفهوم الجديد الذي تتآكل فيه فكرة المواطنه عبر ضمور الطبقه الوسطى وسيادة النموذج الرأسمالى وذلك عبر دمج إقتصادات الدول التي تريد الإندماج في الإقتصاد العالمى، وتسويق فكرة الديموقراطيه الإجتماعيه والتى تبتعد كثيرا عن طريقه عمل الديموقراطيه في زمن الإيديولجيات السابقه والتى تصارع من أجل البقاء عبر محاولاتها المسارعه نحو جعل أفكارها مواكبه لحقبة النيوليبراليه التي تحكم العالم وهو ما نتج عنه ظهور نمط الشعبويه السياسيه التي تختلط فيها المفاهيم والتى تجعل من المواطن الهدف الأول والنهائى دون رؤيه محددة الملامح! كل هذا جعل من فكرة

الدولة –المواطن بشكلها القديم تتداعى في نظر الشعوب التي تتبنى الفكر الإقتصادى النيوليبرالى بسبب عالميه المواصلات والإتصالات والإهتمام بقضايا موحده مثل الإرهاب وحقوق الإنسان.

(٧)

الرئيس " السيسى " في المؤتمر الثامن للشباب والذى عقد مؤخرا قد صرح قائلا " أنا ببنى في العاصمة الإداريه الجديدة (دوله) كل العالم هيتكلم عنها لأن مصر مش شويه "! وهو التصريح الذي قوبل بتأييد من المواليين للنظام السياسى الذي رأوا أن النهضه الإقتصاديه التي يقودها الرئيس ستجعل مصر دوله كبرى خلال بضع سنين، في المقابل قوبل التصريح من المعارضه بالسخريه والإستهجان تحت دعاوى أن السيسى يقلل من شأن مصر ويريد بناءها من جديد وهى الدولة المستقرة منذ آلاف السنين!

لكن وفى خضم الصراخ العقيم بين الموالين والمعارضين لم يقف أحد ليسأل عن ماهية الدولة التي يريدها الرئيس السيسى؟ ما شكلها؟ ما علاقه الدولة بالمواطن فيها؟ ما الشكل السياسى الذي ستدار به ومن خلاله تلك الدولة؟ كيف ستقام تلك الدولة وسط تآكل حاد للطبقه المتوسطه المصرية؟ هل ستكون الديموقراطيه بشكلها القديم هى وسيلة الإنتقال السلس للسلطه؟ وما مدى تحصيننا في الدولة الجديده ضد الشعبويه التي تقود إلى الفوضى والإقتتال الداخلى؟

(٨)

وسط ما يشهده العالم من تغييرات كبرى على كل المستويات الإقتصاديه والسياسيه والإجتماعيه وعلى الرغم من شيوع النظام الرأسمالى وسيادته على مجريات الأحداث في العالم، وظهور نموذج الدولة النيوليبراليه والتى تعيد المواطن لفكرة المواطن-الرعيه كما في القرون الوسطى، إلا أن الشعوب وإنتفاضاتها في دول أمريكا الجنوبيه التي نراها على شاشات الفضائيات والتى عانت من ويلات نموذج الدولة النيوليبراليه وتدخلات أمريكا والبنك الدولى راحت تعجل بقرب نهاية ذلك النموذج.. ولكن متى؟

(٩)

مصر كنظام سياسى وشعب يجب أن يكونا أكثر حذرا في تبنى أو رفض نظام الدولة -السوق أو النيوليبراليه لأنه في كلتا الحالتين سيكون لهما عواقب وخيمه، لكن الأخطر هو تبنى ذلك النظام لأنه الأخطر على الهويه الثقافيه والدينيه ولا أجازف إذا قلت وضياع السيادة على الأرض في نهاية المطاف وبالضروره التبعيه الإقتصاديه التي لن ترحم. ولهذا يجب أن تطرح الدولة المصرية أفكارها حول شكل الدولة الجديد في إطار حوار مجتمعى عام لتقى نفسها شر المزالق والإنتفاضات الشعبيه التي ستكون أشد فتكا خارجه عن السياقات الإيديولجيه القديمه بل مدفوعه بالإحتياجات الأساسيه فقط

ولن تصــبح للإنتماءات الوطنيه مكانا لمخاطبة الجماهير للعوده مرة أخرى لبيوتها لإعاده ما تم هدمه. وليكون هذا الحوار بمثابة مقدمه لتأســيس علاقه جديده بين الدولة والمواطن لتواكب التحديث ونظرة مر للمستقبل.

(١٠)

لا لنموذج الدولة النيوليبراليه

❊ ❊ ❊

# المؤسسة العسكرية ورجال الأعمال
# وهم القوه والإنتماء

تشابه الحالات لا يعنى بالضروره الوصول لنفس نتائجها، وذلك لإختلاف الظروف والوسائل، لذلك فعلى الرغم من أن أزمة الإقتصاد المصرى مشابهه إلى حدا كبير لأزمة الإقتصاد الروسى في عام ١٩٩٨، من حيث هروب رؤوس الأموال المنهوبه نتيجة عائد الخصخصه، والفساد المستشرى في البلاد، والإنخفاض الحاد في سعر العمله، وإرتفاع الدين المحلى والخارجى، وهو ما حدا بالدولة لإتباع سياسة التقشف لتقليل فاتورة الواردات، وإجراءات كثيره أخرى، وذلك كله في ظل غياب لدور مؤثر لرجال الأعمال، الذين تعلموا حصد النتائج والمكاسب بعيدا عن أى دور تنموى حقيقى في البلاد..

لكن لماذا خرجت روسيا من أزمتها بعد مرور عامين فقط؟ ولم تخرج مصر بعد مرور أكثر من عامين؟

وذلك على الرغم من إتباع نفس السياسات تقريبا؟ وتشابه الحاله السياسيه في الحالتين؟

الإجابه لخصها أحد أتباع مدرسة " شيكاغو " الذين بشروا بالرأسماليه الجديده في روسيا، في أن من أنقذ روسيا من مصير الإنهيار الإقتصادى

الكامل نتيجة إتباع سياسة الليبراليه الجديده يرجع لسبب أساسي وهو وجود قوات مسلحه قويه حال تسليحها النووى من تمادى الرأسماليه المحليه ومركزها الخارجى من العبث في الإقتصاد بجانب إجراءات ضروريه للإصلاح..

وهو وضع مشابه للحاله المصرية التي تعانى من أزمه إقتصاديه، تعددت مظاهرها من إنخفاض حاد لسعر العمله، وتزايد الدين العام لدرجه حرجه، وإتباع سياسه تقشف متبوعه بإجراءات لزيادة التصدير في مقابل تقليل فاتورة الواردات، كل هذا مصحوبا بتوجس شعبى من عدم قدرة الحكومه على ضبط الإيقاع، ووسط تراجع حاد لدور رجال الأعمال في عملية الإنقاذ، علاوة على زيادة عدم الثقه بين الناس في رجال الأعمال خاصه بعد تهريب رؤوس أموالهم خارج البلاد.. وهو ما إستدعى تدخلا واضحا وظاهرا للقوات المسلحه للعب دور إقتصادى كضابط لإيقاع سياسه إقتصاديه رأسماليه تبنتها مصر كسلوك إقتصادى عام، حتى لا تعجل بإضطرابات واسعه سرعان ما ستتحول إلى ثوره شعبيه مشابهه لما حدث في ٢٥ يناير.

هنا تظهر الحاله الملتبسه بين المؤسسه العسكريه ورجال الأعمال كما في الحالتين الروسيه والمصرية وهى علاقة شد وجذب، بين طرف يرى أنه الأقوى ويمتلك أدوات القوه وقادر عليها، وبين طرف يرى أن حدود

الإنتماء هى دائره أوسـع من حدود الوطن حيث يسـتطيع المال أن يتحرك بحريه وأنه ليس مجبر على إتباع سياسات تبعده عن مساره الرأسمالى الحر، وإذا كان ثبات العوامل في الحاله العسكريه واضح لكن يميل لصالح روسيا لإمتلاكها السـلاح النووى الذي ألجم الرأسـماليه العالميه، وإذا كان نوع رجال الأعمال يتمحور حول فئه أثرت على حساب الشعب في الجانبين إلا أن إرتباط الرأسماليه المصرية أسبق في الإرتباط بالرأسماليه العالميه. لذلك فهنا يبرز السـؤال الأكبر، أليس هذا مدعاة للتفاؤل لقرب إنفراج الأزمه الإقتصاديه؟ مع وجود المؤسسه العسكريه كضامن لعدم إنجراف البلاد نحو سياسات رأسماليه تضر بأمن البلاد؟

أقولها بصدق أشك، ليس تشكيكا في قدرة المؤسسه العسكريه، ولكن في حدود القدره ومداها، وكذلك لإرتباط الرأسـماليه المصـرية إرتباطا وثيقا بالرأسماليه العالميه وتدين بالولاء لها.

لذلك إذا كنا سـائرون حتما إلى النهايه في تبنى الإقتصـاد الحر، فيجب أن تضع المؤسسه العسكريه في حسبانها أن معرفة حدود القوه قادر على تبديد أوهام القوه المطلقه في ضبط الإيقاع مع الرأسماليه الجديده، حتى لا نقع في فخ الثقه المفرطه مع سـياسـات لا تعرف الحدود، كما حدث لروسـيا أثناء أزمه أوكرانيا حيث حالت القوه العسـكريه بترسـانتها النوويه دون وقوع حرب عالميه، ولكنها لم تحول دون وقوع خسائر إقتصاديه كبيره تنذر بأزمه

إقتصــاديه مشــابهه للعام ١٩٩٨ .. وكذلك رجال الأعمال يجب عليهم أن يخفضــوا حدود ســقف الإنتماء لتكون حدوده مصــلحه الوطن، لا وهم الإنتماء لمحيط أكبر حتى نجتاز الأزمه الإقتصاديه،

لذلك يجب أن تحدد الأســس والقواعد الســليمه لضــبط العلاقه بين المؤسسه العسكريه ورجال الأعمال من أجل الوصول لعلاقه سليمه بناءه قادره وفاعله، من أجل نهضــه حقيقيه في البلاد.. خصــوصــا مع تمخض الإنتخابات البرلمانيه المصــرية عن ســيطره واضــحه لرأس المال على المجلس الجديد.. وغياب واضــح للمعارضــه اليســاريه القادره على لجم السياسات الرأسماليه، ناهيك عن عدم وجود معارضه فعليه من الأساس.

فهل تشـهد المرحله الجديده محاولات سـيطره من كلا الجانبين على كامل المشــهد الإقتصــادى؟ أم محاولات تكســير عظام ربما تســتدعى تدخلا خارجيا؟؟ أم تعاونا مثمرا تدعمه القوه؟

إنها المســافه بين وهم القوه ووهم الإنتماء.. فكلما قلت مســاحة الوهم زاد التعاون المثمر، وإذا قلت أصبحنا على وشك الصدام.. فإلى قادم الأيام

❊ ❊ ❊

# قصص قصيرة

## ثورة القرد الصغير

فى صيف قائظ حار شديد الرطوبه وسط أمطار مداريه شديدة جعلت كل حيوانات الغابه تحتمى في جحورها وأعشاشها وتحت أوراق الشجر جلس بعض القرده مستظلين بأوراق عريضه تحميهم من المطر يستذكرون أحوالهم في السابق والحاضر وأحوالهم المترديه وشح الأرزاق وسط غابه غنيه بخيرات الله الواسعه والكثيره بسبب تجبر الأسد وحاشيته من النمور والضباع والثعالب والذئاب، وراح كل قرد يتذكر مواقف مهينه قد حدثت له من كبار الغابه حتى أنساهم الحزن والكأئه زخات المطر الشديدة وتمنى كل واحد فيهم أن الأمطار تنقطع عن الغابه حتى تموت الأشجار وتصبح صحراء جرداء حتى يتخلصوا من الأسد وزمرته.

هنا ومع إنتهاء سقوط قطرات المطر قام قرد صغير وقد مسه الجنون يزيح عن رأسه ورقة خضراء كبيره كان يحتمى بها من المطر وقال لقد وجدت الحل للخروج من حالة الذل التي نعيشها في هذه الغابه، " هل تتذكرون قصة القرد العجوز المستبد "، هنا نظر إليه جميع القرود مع بداية سطوع الشمس ومع إنقشاع السحب في لا مبالاة وصاح أحدهم وكأن الأمر لا يعينه في شئ، وقال له " ماذا تقصد بهذا الكلام؟ ".

لم يفقد القرد الصغير حماستة رغم نظرة اللامبالاة على القرود كبيرهم قبل

صغيرهم وتحمس للرد على السؤال الذي وجه له وقفز عاليا وأعتلى فرعا ضخما من إحدى الأشجار وصاح " يا معشر القرده الكبار هل تتذكرون جميعا كيف أنكم كنتم تعلموننا ونحن صغارا أن نقف في وجه الظلم وكيف أنكم عندما كنتم صغارا قد تغلبتم على القرد العجوز المتجبر المتسلط بإتحادكم وتوقفتم عن خدمته في تلك اللحظه نلتم حريتكم ورجعت خيرات تعبكم إليكم وإلى أولادكم فما الذي حدث لكم وقد كبرتم نراكم وقد وهنت عزيمتكم وتراخت عزائمكم حتى صرتم تصدرون هذا الوضع إلى القردة الصغيرة الوليدة حتى صار التجبر في الغابه سيد الموقف، فلماذا لا نتمرد على هذا الوضع ونقف يدا واحده ضد الأسد والنمور وأنصارهم ممن يحكمون الغابه "

هنا صاح القردة الصغار وقد دبت الحماسه في عروقهم مؤيدين لكلام القرد الصغير ولكن الكبار كانوا خائفين متوجسين وصاح أحدهم " توقف يا أرعن المسأله مختلفه الأسد وأنصاره ليسوا هم القرد العجوز، نحن ليس لنا قبل في مقاومتهم إنهم أشرار متوحشين "

فقال القرد الصغير " نحن لن نكون وحدنا سنجعل الغابه جمرة نار ضد الأسد وأنصاره سنطوف على الحيوانات الأخرى ونتكلم معهم حتى نقف يدا واحده ضد الظلم من أجل مستقبل جديد ". ساد الهرج وأختلطت الأصوات ولكن في نهاية الجلسه واقف الأغلبيه على الدعوه للثورة ضد

الأسد وأنصاره.

أيام وليالى يطوف فيها القرده الصغار أصقاع الغابه يدعون حيواناتها المختلفه إلى الثوره ضد الظلم ولكنهم لم يحسبوا لرد فعل الأسد وأنصاره الذين علموا بما يدور في الغابه فأستدعى الأسد القرد الأكبر إلى عرينه وراح يوبخه على ما يفعله القردة الصغيرة وراح يستدعى له أمام أنصاره من النمور والضباع والثعالب مشاهد القردة وغيرهم من الحيوانات الذين قطعت أوصالهم لمجرد التفكير في العصيان، وقال في نهاية الحديث " أريد أن يكون القرد الصغير المشاغب أمامى غدا وإلا سيكون العقاب شديدا ". ثم قام الأسد صائحا في أنصاره " أريد منكم أن تدعوا حيوانات الغابه جميعها غدا لإجتماع حاشد قرب النهر " ثم مضى بعيدا.

رجع القرد الكبير لقومه مكتئبا خائفا من رد فعل الأسد وجمع قومه وصاح فيهم مهددا ومتوعدا مكررا كلام الأسد ومذكرا إياهم بعواقب الخروج عن سلطان الأسد وأنصاره وأن الإنصياع وراء كلام القرد الصغير سيجعل منهم جثث تقتات عليها كواسر الغابه. ويبدوا أنه لاحظ أن حديثه قد لقى صدى فقال نحن مدعوون للقاء الأسد وكل حيوانات الغابه غدا وأن من سيتخلف سيكون عقابه الموت وشدد على القرد الصغير الثائر على الحضور الذي وقع في نفسه هذا الإحساس بالضعف نتيجة خوف أنصاره من بطش الأسد فوافق على الحضور على مضض.

وسط ساحه كبيره على ضفاف النهر وعلى صخره كبيره عاليه وقف الأسد يحيط به أنصاره وتحته يقف جميع حيوانات الغابه بلا إستثناء وبدا المشهد مهيبا لا تخطأه العين، وبعد زئير إقشعرت له أبدان الحيوانات جميعا، قال موجها كلامه للحيوانات " من منكم يريد منازعتى سلطانى؟ من منكم يريد معارضة قراراتى؟ إنكم تعيشون في نعيم بفضل حمايتى لكم، إنكم ناكرون للجميل! ولكنى سأعتبر الدعوات إلى التمرد ضدى كأن لم تكن "، وبينما يتكلم الأسد ساد صمت رهيب بين الحيوانات التي فيما يبدوا قد ايقنت أن ساعة الغدر والتنكيل بها قد حانت في هذه اللحظه الفارقه صاح القرد الصغير الثائر " ولكنى لن أتوقف عن معارضتك، فأنت متجبر وباطش ". هنا قفز الأسد من مكانه وقفز على القرد الصغير الضعيف البنيه وقتله ومزق جسده النحيل وفصل رأسه عن جسده ثم صعد بها إلى الصخره مرة أخرى ووضعه على الأرض ووضع رجله عليها وقال " هل لكم ملكا غيرى؟! ". صمت رهيب يجتاح المكان، هنا أمر الأسد بأن تنصرف جميع الحيوانات ولكن من إتجاه واحد من أمام الصخرة على أن يضرب كل حيوان بعصا غليظه حتى يتذكر أن عاقبة المعارضه وخيمه..

وبدأت كل الحيوانات تمر أمام الصخره وتتلقى الضرب بالعصا الغليظه ولكنها لا تجرؤ على الإعتراض وهى ترى رأس القرد الثائر ملقاه بدمائها تحت قدم الأسد، ولكن في آخر الصف وقف أحد القرده صائحا " هذا لا يجوز وغير مقبول " سمعه الأسد فأمر أنصاره بأن يأتوا به، فلما أحضروه

وقف أمام الأسد وقبل أن يهم الأسد بقتله صاح " يا سيدى أنا لا أعترض لا سمح الله، إننى أكره المعارضه وأهلها " فتحير الأسد وقال له " فلماذا إذا تعترض وتصيح؟ "

فرد القرد " يا سيدى لقد قارب الليل على أن يسدل ستائرة على الغابه وطابورالحيوانات طويل وأنت متعب، ولهذا يا ليت سموك يأمر بأن يتحول الطابور إلى أكثر من طابور حتى يتم المرور بسرعه وتسهيلا لعملية الضرب وإختصارا للوقت "

هنا ضحك الأسد وركل برجله رأس القرد الصغير الثائر فتتدحرجت إلى الأسفل تدوسها طوابير الحيوانات المستعبدة دون أن يحاول أحدا إلتقاطها وقال " أهلا وعودا حميدا غابتى الحبيبه"

## الحاسة السادسة للحمار!! (قصة قصيرة)

أمام العرين وعلى مسافه ليست بالبعيده عنه، وتحت شجرة وارفة الفروع والأوراق تمدد الأسد تحتها واضعا رأسه على مقدمه رجليه الأماميتين فيما يوحى بحالة إسترخاء كامله، خصوصا بعدما تناول الأسد وجبته، ولكن عينى الأسد لا توحى بذلك، فهى تتجول في كل إتجاه وكأنما تبحث عن شئ غيرمحدد في الفراغ، وأستمر الأسد على هذا الوضع طيلة فترة القيلوله وحتى بدا أن ضوء النهار على وشك الإنقضاء معلنا دخول الليل، وفجأه وقف الأسد وأخذ يزأر بأعلى صوته فيما يشبه الغضب فلفت هذا الزئير

العالى كل المتحلقين حول الأســد من الفهود والنمور والثعالب والذئاب الغير بعيدين عنه فأخذوا يتوافدون لمكان وقوف الأســد الذي ما أن رآهم حتى أمرهم بالدخول معه إلى عرينه للتشاور في أمرا خطير.

وبينما بدأ الجميع يأخذون أمكانهم حول الأســد الذي جلس على العرش، دخل الحمار للعرين وسـلم على الجميع وحيى الأسـد " مولاى ".. فأشـار الأسد له وللجميع أن يجلسوا وسط دهشة الحيوانات الأخرى التي لم تعتاد حضور الحمار مع كبار الغابه داخل العرين.

الأسـد: من بضـعة أيام صـحوت على كابوس جعلنى خائفا مرتعبا!! وهو ما جعلنى أخشى النوم للدرجه أننى أصبحت أخاف أن أنام ليلا أو نهارا!!

النمر: مولاى! لابد وأنها أضغاث أحلام!

الثعلب: مولاى! كيف كان ذلك الكابوس؟ إحكى لنا لعلنا نستطيع أن نزيح عنك الهم!

الأســد متنهدا: بعدما أكلت وجبة الغداء منذ يومين! وملئت معدتى بوجبه شــهيه، ثقلت جفونى، فقلت أذهب لأنام تحت الشــجرة الكبيرة التي أمام العرين، وما هى إلا دقائق حتى ذهبت في نوما عميق، وهنا بدأت المأســاة، فقد حلمت بأن النار تحيط بى من كل جانب ففزعت وصــعدت إلى أعلى الشــجرة لعلنى أحتمى من تلك النيران التي تحيط بى، وما أن صــعدت إلى الأعلى حتى بدأت أتبين مصــدر النيران، فإذا بحيوانات الغابه كلها تحمل

مشــاعل نيران وتحيط بالشــجرة من كل إتجاه، وكانت الثعالب والذئاب محمولـه على أعنـاق الحمير، يهتفون بـأن أرحـل لخـارج الغـابـه وجميع الحيوانات تردد وراءهم الهتافات، وبدأوا يقذفوننى بكل ما تطاله أيديهم حتى سقطت من على الشجرة على الأرض وهنا صحوت من النوم مفزوعا مرتعبا، خصــوصــا وأن صــوت الغربان فوق الشــجرة كان عالى جدا مما أصابنى بالرعب. ما رأيكم في هذا الكابوس المرعب؟!

لحظات من الصــمت والحيرة! أخذت فيها الجميع الدهشــه ونظروا إلى بعضــهم البعض، ولكن الثعالب والذئاب كانت وجله وخائفه، فقد كانوا متوجسين من أن الأسـد قد يرى فيهم متمردين محتملين على سلطة حكمه وأنه قد يكون فكر أيضا في إفتراسهم وما تلك الجلسه إلا تمهيدا لقتلهم!

الثعلب مصطنعا التبسم: يا مولاى! هل لى بسؤال؟

الأسد: إسأل!!

الثعلب: ماذا أكلت على الغذاء يا مولاى؟

الأسد: لحم خنزير!! ومال هذا والحلم المفزع؟

هنا لمعت لأحد الذئاب فكرة رآها من الممكن أن تلهى الأســد عن حلمه المفزع الذي من الممكن أن يطيح برؤوس الثعالب والذئاب إذا لم يقتنع الأسد الخائف على عرشه

الذئب: يا مولاى! لقد عرفت سبب ذلك الكابوس المرعب والذى أفزعك من نومك!

الأسد منتبها: قل ما عندك! أرحنى وهات ما عندك!

الذئب: إن لحم الخنازير هو السبب! فهو لحم سيئ الهضم لا يناسب سموك! وأن لحوم الحمير هى المفضله لجلالتك! ولهذا لا تأكل الخنازير مرة أخرى

الثعلب: فعلا يا مولاى! لحوم الخنازيرهى السبب!

وساد العرين نوع من التبسم والهمهمه ونظر الجميع إلى الأسد الذين رأوة وقد بدا عليه أن ذلك التفسير قد راق له، وهو ما جعل الثعالب والذئاب تتنفس الصعداء فقد بعد عنهم ظل الغدر من أسد خائف على عرشه، ولكن فجأه أشار الأسد إلى الحمار بأن يقول رأيه فيما قاله الذئب والثعلب!

تلفت الحمار حوله ورأى المكر والخديعه من الذئب والثعلب تقربه من أن يكون وليمه وتفسيرا لكابوس صراع على السلطه أخاف أسدا يريد أن يطمأن على عرشه، فقام ومشى جيئة وذهابا ثم إتجه إلى الأسد الجالس على العرش

الحمار: يا مولاى! إن ما رأيته في الحلم المفزع إنما يدل على الحاسه السادسه المتوقدة لديك والتى تجعلك قائدا لنا جميعا، وأن ما رأيته دليل

على هواجس من منازعه على السلطه ممن ترى فيهم أنهم من الممكن أن ينازعونك الحكم

هنا ذهل الجميع من رد الحمار وأصبح الجميع يتحاشى النظر إلى الأسد خوفا منه، خصوصا وإنه قد بدأ ينظر إليهم بعين الإرتياب وصاحوا

النمر: أنت مولانا وسيدنا! ولا أحد يقدر أن ينازعك الملك

الفهد: يا مولاى! من يقدر أن يقف في وجهك! كلنا رهن إشارتك

الأسد: وما بال الذئاب والثعالب؟!

الثعالب والذئاب في صوت واحد: أنت مولانا وسيدنا! عاش الملك! عاش الملك!

الأسد موجها كلامه للحمار: ماذا تقول فيما سمعت؟

الحمار: يا مولاى! هذا ما تخبرك الحواس الخمسه، فأنت ترى وتسمع وتشم وتلمس وتتكلم مع من هم أمامك وتريد أن تصدقهم، فيما حاستك السادسه تخبرك بعكس ذلك

الأسد: ماذا تعنى بكلامك هذا؟!

الحمار: الحلم! هو هواجسك ممن ترى فيهم أنهم قد ينازعونك السلطه، الذين لهم مثل حاستك السادسه، أما نحن الحمير فقد تعلمنا أن تكون حاستنا السادسه هى طاعتك فقط! وأن تكون لحومنا تضحيه من أجل ملكنا

العظيم

الذئب: ماذا تقول أيها الحمار اللعين!

الثعلب: يا مولاى! أسكت هذا الحمار الغبى الذي يريد أن يوغر صدرك تجاهنا!!

الأسد مزمجرا وزأر زئيرا عاليا أخاف الجميع، ونزل من على العرش وأخذ يلف حول الحمار وسط العرين، والحمار يتعرق بشده خوفا من أن يهجم عليه الأسد ويفترسه، ولكن الأسد رجع مرة أخرى إلى كرسى العرش وجلس وصمت قليلا ثم أشار للحمار!

الأسد: وما الحل إذا أيها الحمار الفصيح!

الحمار متنفسا الصعداء: أرى يا مولاى أن تقوم بجمع كل من تشك في أن تكون لديهم حاسه سادسه تجعلهم منافسين لك، وتحبسهم وتمنع إختلاطهم بحيوانات الغابه الأخرين الذين يدينون بالولاء لك.

الأسد واقفا: يا معشر الفهود والنمور عليكم بالقبض على كل الذئاب والثعالب وأن يحبسوا ولا يختلط بهم أحدا حتى يموتوا جوعا.

ولم تنفع صيحات الثعالب والذئاب التي ترجوا الأسد أن يعفوا عنها، وهنا كانت ضحكات الحمار عاليه ومسموعه فقد أوقع بمن كانوا يريدون التضحيه به، وظن أنه بذلك قد يحظى بمكانه عاليه لدى الملك الأسد،

خصوصا وقد برع في تفسير الحلم الكابوس الذي أرقه لأيام. دقائق معدودة حتى خرج الجميع من القاعه ولم يبقى إلا الأسد والحمار في العرين

الحمار: أيأذن لى مولاى بالإنصراف؟

الأسد: إلى أين؟

الحمار: إلى بيتى وأولادى!

الأسد: إنى لدى شعور كبير بالجوع!

الحمار مرتجفا: فداك نفسى يا مولاى!

الأسد: ولكن يا حمار لم تفسر لى معنى أن تحمل الحمير! الذئاب والثعالب فوق ظهورها وهى تهتف ضدى

الحمار: أضغاث أحلام يا سيدى

لحظات مرعبه وفظيعه، الدماء بدأت تسيل على أرضية العرين، ولحم الحمار بدأ يتمزق بين فكى الأسد الذي بدأ يأكل بنهم وشهيه كبيرة، وما هى إلا دقائق حتى إنتهى من وجبته ونظر إلى رأس الحمار الملقاة بجانبه على الأرض وقال " ما أشهى حاستك السادسه يا حمارى "، وراح في نوما عميق.

## سراب الأمل ( قصة قصيرة)

وسط الصحراء الواسعة الأرجاء وتحت لهيب الشمس الحارقه والرمال الملتهبه التي تشوى الأقدام العاريه، يمشى طابور طويل من العبيد المقيدين

بالحبال الجافه تلسع ظهور العاريه التي لا تداريها بقايا ملابس باليه سياط النخاسين الذين يركبون الخيل تلمع سيوفهم من بين جنباتهم والكرابيج الطويله في أيديهم يسوقون هؤلاء البوساء إلى مصيرهم المحتوم في أسواق العبيد حيث المصير المجهول، وسط هذا الطابور من البوساء يمشى " خالد " عبدا تبدوا عليه ملامح مختلفه عن بقية العبيد ينال من النخاسين ضعف العذاب وضربات بالكرابيج أكثر من الباقين ومع ذلك تزداد صرخاته التي تعبر عن عذاباته " أنا لست بعبد أطلقوا سراحى، أنا حر وقومى كلهم أحرار"، ثم ما يلبث أن ينادى " أين أنت يا حبيبتى لكم إشتقت إليك يا " أمل ".

إستمر هذا الحال أياما وقافلة النخاسين والعبيد تزداد توغلا في الصحراء، وأصبح الإعياء سيد الموقف وبدأ العبيد يتساقطون ما بين الجوع والعطش والموت الذي كان مصيره وليمه جاهزه لنسور الصحراء الجائعه، وبقى " خالد " على حاله ما بين صراخ للحريه التي فقدها وبين حبيبته " أمل " التي فارقها قسرا عندما أغار على قومه اللصوص الذين باعوه للنخاسين، حتى قرر النخاسين في يوم أن تأخذ القافله راحه بعد عناء يوما شاق في الطريق، فتم تكديس العبيد وهم مكبلين بالحبال في مكان بين جبلين حتى لا يسهل عليهم الهرب، وسريعا حل المساء، وطلب النخاسين من العبيد أن يناموا حتى يصحوا باكرا ليواصلوا المسير قبل أن تلفح وجوههم نار الصحراء المحرقه.

وبينما خلد الجميع إلى النوم من تعب المسير في الصحراء، ظل " خالد " ساهرا يبكى ألم الحريه وفراق الأحبه، متذكرا أيامه الخوالى قبل العبوديه، شابا مرحا طلقا، وكيف كان يعده أهله ليكون مثالا لكل شباب قبيلته، متعلما، يشهد له الجميع برجاحة عقله وذكاءه الذي يميزه عن أقرانه، ووقوفه يوما أمام أبيه ليطلق سراح عبيده لأنه لا يقبل أن يرى إنسانا يهان أمامه. وكيف كان يراها وهى تتدلل بين رفيقاتها في القبيله معتزة بجمالها وحسبها ونسبها، إنها حبيبة القلب ومنية الفؤاد إنها " أمل ".

أمل أمل أمل، ظل يردد الإسم مرارا وتكرارا وكأنما مسه الجنون، ولكنه ضحك ضحكة جعلته يهمس لنفسه كيف نسيته؟ ثم راح في سبات عميق حتى تباشير اليوم التالى.

سياط النخاسين توقظ قافلة العبيد معلنة أن التحرك قد حل آوانه، ولكن فجأة قام " خالد " صارخا في وجه النخاسين " نحن لسنا عبيدا بل أحرار، كفوا عن ضربنا "، فأزداد الضرب عليه، فأزداد صراخا ولكن موجها لزملاءه البائسين " ألم يكيفيكم ذلا ومهانه؟ أنتم أقوى منهم وأكثر عددا؟ هيا لنقضى عليهم ونتحرر من ضربات سياطهم وآسر العبوديه المهين ". فنظر إليه البؤساء الذين لم يتعودوا على مثل هذه المواقف مستغربين متوثبين، ولكن سياط النخاسين قطعت عليهم الإسترسال في التفكير.

هنا قرر النخاسين أن يجعلوه مربوطا في آخر الطابور حتى يستقيم الصف

وقاموا بتكميم فمه أيضا بجانب يديه، وصارت القافله حتى توسطت السماء الشمس المحرقه التي جفت تحتها الحلوق، هنا سقط " خالد " مغشيا عليه فظن النخاســين أنه مات فحلوا وثاقه والكمامة حول فمه وحاولوا إفاقته، فتمتم بكلمات ينادى فيها على محبوبته " أمل "، فظن أحد النخاســين أنها سـقرات الموت فأقترح أن تسـتمر القافله وتركه وحيدا يلقى مصـير الموت ونسور السماء الجارحه.

وما أن تحركت قافلة العبيد البؤســاء حتى فتحت عينى " خالد " المســخن الجراح المتعطش للماء وللحريه، وبدأ فجاه يتحرك ووقف منتصـبا فرحا، فقد رأى أمامه محبوبته الجميله تناديه، وأزداد حماسـة أن يذهب إليها بعدما حلت قيوده، فمشـى متثاقلا تعبا يمشـى ويقع ثم يقف ويمشـى، ينادى عليها ولا يبدوا أن المســافه تسـعفه، هنا نظر أحد عبيد القافله وآشــار لأحد النخاسين أن " خالد " حى يجرى في الصحراء من خلفهم ولم يمت.

فوقفت القافله التعسه عن المسير وتشاور النخاسين سريعا في أمر " خالد " وقرروا أنه لم يعد صــالحا ولن ينجوا من الموت جوعا وعطشــا، ولكن أحدهم آشار لقتله حتى يكون عبرة لغيره.

رجع أحد النخاسين على حصانه يحمل قوسا وسهما قاصدا " خالد " الذي إقترب من لقاء محبوبته التي تناديه شــوقا وطربا، وما أن هم بالإرتماء في أحضـانها حتى سـقط على الأرض بفعل سـهم النخاس الذي إخترق ظهره، فحاول أن يحبوا ويمد يده إليها وهى تمد يديها إليه وتقول " أصــمد خالد

فلم يعد إلا القليل، حتى نكون سويا أحرار "..

ولكن الدماء سالت من فمه وما زالت يده تطلب " أمل " وسقط على وجهه، ولكنه ســرعان ما قام، ولكنه لم يجد محبوبته التي ألهمته الصــبر والمقاومه وإنغراس السهام في جسمه على أمل الحريه، وظل يدور حول نفسه كالذبيح غير مصدق أن " أمل " كانت سرابا، الدماء تنزف من جسمه ينظر للقافله من بعيد وهى تبتعد بعدما ربط النخاســين أعينهم لكى لا ينظروا خلفهم. هنا ســقط " خالد "على ظهره يقاوم حشــرجات الموت وينظر للســماء تختلط الصــوره أمامه، نسـر يحوم تحت قرص الشـمس ينتظر فريسـه شـارفت على النهايه، وصـوت " أمل " الجميل يناديه " لسـت سـرابا يا حبيبى، قم وتعالى نلهو ونمرح بين بســاتين القبيله، نملئ من البئر أيادينا ماءا عذبا رقراقا، ثم تلامس شفتانا أيادينا لنشربه، تعال تعال تعال.. "

فمد يده إليها فتلاقت اليدين ثم وقف ينظر إليها ثم إحتضـنها، ثم صـعدا إلى الأعلى، يغنيان ســويا لحن الحريه الأبديه تزفهما حوريات الســماء، ووقف النسر الجائع على رأس الجسد المسجى الشاخص العينين يشيعهما بنظرات شاخصه، ثم ينحنى فجأة ويفقأ العينين فينطفئ السراب، ويحل الظلام.

## وصية الكاهن سرو_رع!!

خادم المعبد يجرى مســرعا يلهث ممســكا بأوراق البردى التي طلبها منه الكاهن ســرو-رع، خائفا مرتعبا من الفوضــى التي تعم أخيتاتون مدينة إله

الشــمس آتون بعد وفاة الفرعون " إخناتون "، القتل والدماء في كل مكان والحرائق تلتهم أرجاء المدينه والناس مرتعبه تجرى في كل إتجاه لا أحد يعرف إلى أين يتجه وسـط تلك الفوض العظيمه التي تحل بالمدينه على يد كهنة آمون الذين يركبون الخيول ممسـكين بالسـيوف والمشـاعل ليقتلوا ويحرقوا كل ما تطاله أيديهم إنتقاما من المؤمنين الموحدين أنصار الفرعون أخناتون الذي على يديه تم تهميشهم وجعل من عبادة الإله آمون كما مهملا. وفى لحظة وجد الخادم نفســه وقد حوصــر من رجال كهنة معبد آمون المتحفزين للقتل فأختبأ وراء أحد أبواب البيوت المفتوحه أمامه حتى يمر القتله، ولكنه ما أن جمع بعض أنفاسه حتى تنامى إلى مسامعه صوت بكاء ونحيب فنظر وراءه فوجد فتاة تختبأ وراء أحد الأســرة مكومه ينتفض جســدها رعبا وزاد فزعها وراحت تصــرخ " لا تقتلنى.. لا تقتلنى " عندما رأت الخادم يقترب منها، ولكنه هدأ من روعها فراحت تأنس له وأتفقا بعد حديثا قصيرا على الخروج من هذا البيت ويواصلا المسير ناحية معبد الإله آتون لأنه المكان الوحيد الأمن وسط تلك الفوضى ( هكذا خيل لهما ).

لما حل الظلام وبدا أن وتيرة القتل والفوضــى قد خفتا قليلا حتى خرج الخادم والفتاة متسللين إلى خارج الدار وصارا في شوارع آخيتاتون المظلمه على أضواء الحرائق المشتعله في جنباتها محاولين الوصول إلى المعبد، وما أن وصــلا بعد عناء شــديد حتى وجدوا المعبد وقد حاصــرة كهنة آمون يقذفونه بالحجاره والمشــاعل الحارقه ولكن يبدوا أنه صــامد في وجوههم.

هنا أيقنت الفتاة أن الموت واقع لا محاله وأنها والخادم قد شـارفا على النهايه وهى على ذلك الحال أمسـك بيدها الخادم وجذبها بعيدا وسـار بها وسط الزراعات التي تحيط بالمعبد وعلى مسافه ليست بالبعيدة دخلا كوخا من البوص وطلب الخادم من الفتاة أن تمسـك بأوراق البردى التي معه ثم إنحنى على أرضية الكوخ مزيلا الأتربه حتى ظهر بابا خشبيا سرعان ما فتحه وطلب من الفتاة أن تنزل إلى الأسـفل بعدما أشـعل مشـعلا من النار ثم نزل بعدها، وما أن نزلا درجات السـلم حتى سـارا في سـرداب طويل سـرعان ما إنتهى إلى باب يؤدى إلى داخل المعبد فدخلاه وأقفل الخادم الباب بإحكام وراءه، وما أن صعدا سـويا درجات السـلم إلى الأعلى حتى وجدا فوضـى كبيرة وخوف وهلع من كهنة معبد آتون الذين ينتظرهم الموت خارج اسـوار المعبد، فأمسك بيد الفتاة وواصل الخادم المسير تجاه غرفة الكاهن الأعظم سـرو-رع التي ما أن وصـل إليها حتى طرق الباب طرقا خفيفا ففتح له الباب ودخل هو والفتاه وأغلق الباب وراءهما من قبل خادم آخر.

الكاهن سـرو-رع بدا هادئا غير عابئ بما يحدث داخل وخارج المعبد وهو يجلس على أريكته ولكنه أشار ناحية الخادم فتقدم هو والفتاة

الكاهن سرو-رع: لماذا تأخرت يا نفر-كا؟ ومن هى تلك الفتاة التي معك؟

نفر-كا: أعذرنى يا سـيدى الكاهن الأعظم فالمدينه صـارت ميدانا للحرب والقتل والدماء! وقد وجدت تلك الفتاة المسكينه فأنقذتها من تلك الفوضى

وجئت بها معى إلى  المعبد!

الكاهن سرو–رع: ما أسمك أيتها الفتاة؟

الفتاة: سيدى الكاهن إسمى " نيبت " من وصيفات قصر الفرعون الإله إخناتون قبل أن يقتحمه كهنة معبد أمون ويستبيحون كل ما فيه

الكاهن سرو–رع: يا نفر–كا تعال إجلس بجانبى أنت وتلك الوصيفه الجميله " نيبت "، وأفتح أوراق البردى وأستعد لكتابة وصيتى الأخيرة

نفر–كا: وصيتك الآخيرة يا سيدى!!

الكاهن سرو–رع: ألم ترى بعينيك ما يحدث في المدينه؟ وحاله الهلع التي تعم أرجاء المعبد؟ وراء باب الغرفه ينتظرنا الموت ليحصد أرواحنا، ولهذا لا تتكلم كثيرا وأكتب

نفر–كا: أمرك سيدى _ ثم أمسك بالريشه وغمسها في الحبر متأهبا للكتابه على البردى _

الكاهن سرو–رع: بسم الإله الواحد الذي يظهر في أفق السماء أعلن أنا الكاهن الأعظم لمعبد الإله آتون أننى وكهنة المعبد أمنا بإله واحد وبذلنا كل الجهد في سبيل إعلاء كلمة الإله الواحد والعمل على محو ظلمات الألهه المتعددة في مصر تحت قيادة الفرعون العظيم إخناتون الذي عانى كثيرا في سبيل إعلاء كلمة التوحيد أمام كهنة معبد الإله آمون الذين غيبوا وعى الناس

وأستباحوا حرماتهم وممتلكاتهم تحت زعم عبادة آمون، ولكن ما أن ظهرت عبادة آتون حتى جن جنونهم وأشاعوا عنا كل خبيث ولكن سطوة الفرعون إخناتون منعتهم عنا نحن الموحدين، لكن بوفاة الفرعون وتحالف كهنة آمون مع الفرعون الجديد الذين يرفضون عبادة آتون أصبحت حياتنا مهدده وهاهم كهنة معبد آمون والجنود الخونه يستبيحون مدينة الموحدين قتلا وتخريبا إنتقاما وحقدا، ولكننى قمت بكتابة وحفظ ترانيم الصلاة لآتون العظيم كمحاوله آخيره لإنقاذ تلك الترانيم حتى لا تقع في الأيدى المدنسه لكهنة آمون إلى أن يأتى اليوم الذي ينتصر فيه نور شمس آتون على ظلمات معبد آمون، وحتى يعود فرعون مصر القادم إلى حضن معبد آتون مرة أخرى وأوصى من يقرأ وصيتى من الموحدين أن يعمل على نشر ترانيم آتون حتى تعود شمس التوحيد للسطوع على مصرنا

نفر-كا: ومال الفرعون والصراع بين المعبدين يا سيدى الكاهن الأعظم؟

الكاهن سرو-رع: الفرعون أيها القليل الخبرة هو ما يرجح كفة أى عبادة تسود وهو ما يحدد أى الكهنة يسكنون إلى جواره

نفر-كا: فهمت يا سيدى! أنكتب شيئا آخر؟

الكاهن سرو-رع: لا وقم بختم الورقه بخاتمى! ثم إفتح هذا الصندوق بجانبى وخذ منه برديات الترانيم

نفر-كا: أمرك سيدى ـ وقام يفعل ما أمر به ـ

الكاهن سرو-رع: وأنت يا أيتها الوصيفه " نيبت " ستأخذى نفر-كا وتذهبى به إلى قصر الفرعون الجديد ومعكما الأوراق وتحفظاها هناك

الوصيفه نيبت: كيف يا سيدى أرجع إليهم؟ وما بالك بحفظ الأوراق هناك؟

الكاهن سرو-رع: من السهل أن تقولى أنك وصيفه سابقه مع زوجك لدى الفرعون المتوفى إخناتون وساعتها سترجعين مرة أخرى إلى القصر، وهناك تخبئين الصلوات والترانيم

نفر-كا: ولماذا نخبأها هناك؟!

الكاهن سرو-رع: الترانيم والصلوات لا يكون لها فائده بعيدا عن القصور الملكيه فالعامه ليس لهم قوة يحمونها، وأن الفرعون إذا تغير الحال وأعاد إكتشاف الترانيم بين جنبات قصره ساعتها من الممكن أن يعيد مجد عبادة الأله آتون.

طرقات قويه وصرخات عاليه خلف باب الغرفه تريد إقتحامها، هنا ظهر الإضطراب والخوف على كل من بالغرفه

الكاهن سرو-رع: أسرع يا نفر-كا أنت ونيبت وإحملا الأوراق والترانيم وأخرجا من هذا الباب السرى بسرعه - وأشار إلى باب خلف جدارأحد الستائر - ولا تنسيا وصيتى الترانيم يجب أن تخبأ وتحفظ في قصر الفرعون دون أن يسمع بها أحد حتى يحين الوقت ويقرأها فرعون يقدر قيمتها

وساعتها تشرق شمس آتون مرة آخرى ويملأ الموحدين ربوع مصر كلها، الترانيم بدون قوة لن يلتفت لها العامه! هيا أخرجا!!

فى هذه اللحظة يقتحم كهنة آمون وجنود الفرعون الجديد الغرفه شاهرين سيوفهم صائحين بعزة فرعون وبعزة أمون سنقضى على الهراطقه، وتنهال السيوف على جسد الكاهن سرو-رع وبينما تنسال روحه من جسده ظل يردد ترانيم آتون، وبينما هو سابح في شمس ترانيم آتون خمد نور عينيه بعدما غادرته الروح إلى الأبد تحمل أمنيات كاهن عجوز بأن يأتى فرعون جديد يعيد مجد عبادة آتون الموحد.

❋ ❋ ❋

# الفهرس

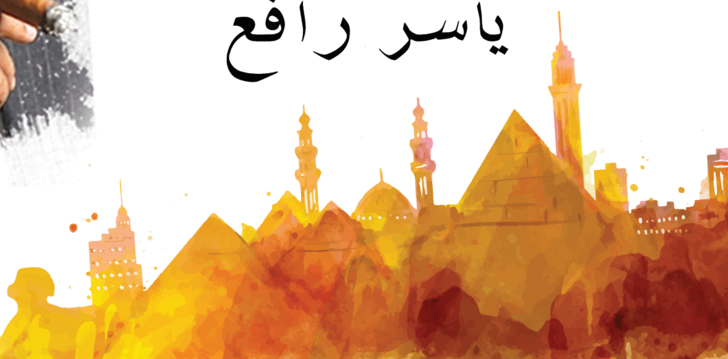
❊ ❊ ❊

الكتاب صرخه في مواجهة
من يريدون أن يجعلوا من لا تحاول صنما
يعبد، يقف حائلا بين الناس وشمس
الحقيقة التى تغمر العالم ما عدا من يستظلون تحت اقدام الصنم



# المقالات المصرية

ياسر رافع



Scan me!